الأخبار
al-akhbar

السبت 15 آب 2026
العدد 5851 السنة الحادية والعشرون
Samedi 15 Août 2026 no 5851 21ème année

www.al-akhbar.com

24 صفحة
100000 ليرة

كلمات

صقر أبو فخر: مخيّم تلّ الزعتر كان فلسطين الصغرى

سلام هدّد بالاستقالة فتراجع وزير الدفاع 4

المعابر الشمالية: نشاط كبير لتهريب الأفراد والمازوت

الحاج يواصل خضوعه: تسليم دمشق ضابطاً دون أدلة

قاسم لجمهوره: خزّنوا غضبكم وليتحمّل المحرضون مسؤولية انفجاره في حينه 2

الحرب الاقتصادية

أميركا - إيران: مَن يصرخ أولاً؟ 8 - 9

تحتجب «الأخبار» يوم الإثنين لمناسبة عيد انتقال السيدة العذراء

(أ ف ب)

المشهد السياسي

واشنطن تثبت فشل مسارها: الحلّ بنزع سلاح حزب الله

قاسم: المقاومة قادرة وندعو جمهورنا لاختزان غضبه

في الوقت الذي كشفت فيه زيارة وفد القيادة العسكرية الأميركية إلى بيروت عن فشل مسار التفاوض المباشر في تحقيق أي هدف، أكّد الأمين العام لحزب الله، الشيخ نعيم قاسم، أن المقاومة قادرة على تغيير المعادلة، داعياً جمهور المقاومة إلى أن يختزن غضبه والاستعداد لاستخدامه في الوقت الذي يحين لتحقيق أهدافه ومطالبه.

وفي كلمة بمناسبة الذكرى العشرين لانتصار تموز 2006 قال الشيخ قاسم: «إن اتفاق تشرين 2024 الذي يدعو إلى انسحاب العدو، ما زال صالحاً، إلا أن السلطة اللبنانية لم تزِ إلا سلاح المقاومة وبدأت تصوّب عليه، ولم تكن متعاونة بل كانت تحت وصاية برزت في نتائج عملها». وقال إن «المقاومة منعت العدو من تحقيق أهدافه وهي ماضية في خياراتها ومن يراهن على الاستسلام إنما يراهن على سراب ولا يعرف المقاومة جيداً».

ووصف الشيخ قاسم اتفاق الإطار بأنه «إملاءات بالحبر الإسرائيلي وقّعت عليه السلطة اللبنانية برعاية ومشاركة أميركيتين»، وقال إن «الإشكال هو في المفاوضات المباشرة وفي مضمونه كاملاً من أوله إلى آخره»، لافتاً إلى أن «كل الذين شاهدوا المشهد في واشنطن رأوا فريقاً واحداً اسمه الفريق الأميركي - الإسرائيلي، أمّا الفريق اللبناني فكان تابعاً وكان ينفّذ ما تقوله أميركا». وتوجّه إلى السلطة بالقول: «أعطونا إنجازاً واحداً حصل في الجولات السبع، كل شيء حصل عليه العدو الإسرائيلي».

وتساءل الشيخ قاسم مستنكراً ممارسات السلطة: «ما هي هذه البدعة التي سميتموها مناطق تجريبية.. وكيف تقبلون بالإهانة للجيش بدل أن تكونوا حماة له؟ وكيف تقزّمون بأن زوّار الغربية (غير المحتلة) بمثابة منطقة تجريبية كي تسمح إسرائيل لكم أن تدخلوا إليها؟»، مؤكداً أن اتفاق الإطار حرم السلطة من مقاضاة العدو في المحاكم وأدّى إلى احتلال المنصوري وزوطر الغربية والخزي والعار.

وشدّد الشيخ قاسم على أنه «يجب أن يكون الجنوب هو القضية المركزية اليوم ويجب أن يؤمّن النازحون، وأن يؤمّن الإيواء والمساعدات وترميم الأضرار، والدولة مسؤولة قبل أي جهة أخرى».

وتوجّه الشيخ قاسم إلى الأهالي الذين وصفهم بـ«العظماء» قائلاً إن «كل كلام نقوله لا يمكن أن يكون ذرة أمام ما قدمتموه من تضحيات وعطاء ونحن نراكم كباراً. ومن حقّكم أن تغضبوا وأن تعبّروا عن غضبكم، لكننا نطلب منكم أن تختزنوا هذا الغضب وتنهيأوا لاستخدامه في الوقت الذي يحين لتحقيق أهدافكم ومطالبكم (...) إن الغضب له وقت ويمكن أن ينفجر. أمّا كيف ينفجر؟ فليتحمّل من لا يعرف العمل ويحاول العمل ضد المقاومة وأهل المقاومة المسؤولية»، مشيراً إلى أن المسؤولية تقع على الذين يعتدون على المقاومة وعلى شعب المقاومة وعلى لبنان وعلى مستقبل لبنان وعلى سيادة لبنان.

إلى ذلك، أظهرت زيارة رئيس مجموعة التنسيق العسكري الخاصة بلبنان، الجنرال الأميركي جوزف كليرفيلد، عدم وجود اختراق كما تحدّثت السلطة. ورغم محاولة واشنطن الإيحاء بأن باب التفاوض بين لبنان وإسرائيل لا يزال مفتوحاً، جاءت الوقائع الميدانية والتصريحات الإسرائيلية لترسم صورة مختلفة تماماً، إذ لا تبدو إسرائيل في وارد تقديم تنازلات فعلية في هذه المرحلة، بل تعمل على تثبيت وقائع جديدة في الجنوب، بما يسمح لها بالبقاء في مواقعها إلى ما بعد الانتخابات المقرّرة في تشرين.

كليرفيلد، بحث عن توفير الغطاء السياسي والآليات العملية اللازمة للانتقال من تفاهمات عامة إلى إجراءات ميدانية. فواشنطن تدرك أن أي ترتيبات أمنية تتعلق بالسلاح وانتشار الجيش اللبناني والمناطق التجريبية لن تكون قابلة للتنفيذ من دون قرار سياسي واضح، وضمن آلية تحقّق تحظى بقبول الأطراف. إلا أن العقدة الأساسية لا تزال قائمة. فالية التحقّق من سحب السلاح لم تُحسم، وكذلك تركيبة الهيئة الدولية التي يُفترض أن تشرف على التنفيذ، فيما لا تزال أسماء دول عدة مطروحة للمشاركة، بالإضافة إلى الشروط الأخرى التي تشمل عمليات تفتيش المنازل والأماكن الخاصة والتدقيق في أسماء الناس في القرى.

ما يعني بحسب المفهوم الأميركي – الإسرائيلي أن الحديث عن تقدّم في ملف المناطق التجريبية لم يتحوّل بعد إلى اتفاق قابل للتطبيق، خصوصاً أن الجيش اللبناني أبلغ الأميركيين بأن استمرار الاعتداءات الإسرائيلية، يجعل أي ترتيبات أمنية جديدة أكثر تعقيداً.

في المقابل، تبدو الرسالة الإسرائيلية أكثر وضوحاً من الرسائل الدبلوماسية الأميركية. فالتصعيد المستمر في الجنوب، وفي هذا السياق، تبرز مرتفعات علي الطاهر كواحد من أهم الأهداف الإسرائيلية، وسط تحضيرات ميدانية متواصلة، تشمل القصف المدفعي والغارات واستخدام الفوسفور وتدمير الأنفاق والمنازل والقرى، في سياق ما يشبه سياسة «الأرض المحروقة».

وبينما يسرّب رئيس الجمهورية جوزف عون بأن «إسرائيل ستدمّر علي الطاهر إذا رفض الحزب تسليمها للجيش»، كرّر الرئيس نبيه بري موقفه بالقول إن مفتاح الاستقرار يبدأ بإلزام إسرائيل بوقف الحرب والانسحاب، في ظل استمرار الخروقات والاعتداءات. لكنّ السفير الأميركي ميشال عيسى اعتبر أن زيارة كليرفيلد تهدف إلى توضيح الأمور وشرح حقيقة ما يجري، وأكّد أن المفاوضات ستُستكمل، مضيفاً: «اقنعوا حزب الله يسلم سلاحو وكل شي بينحل».

لا يبدو أن زيارة كليرفيلد نجحت حتى الآن في تغيير المعادلة. فالمسار الأميركي يحاول فتح الطريق أمام آليات تقنية ومفاوضات جديدة، بينما تعمل إسرائيل على الأرض لتثبيت احتلالها. وبينما تنتظر واشنطن تحويل التفاهمات إلى إجراءات، تستمر تل أبيب في توسيع هامش سيطرتها، ما يجعل الرهان الحقيقي ليس على موعد الجولة المقبلة فحسب، بل على قدرة الأميركيين على وقف التصعيد الإسرائيلي قبل أن يصبح الواقع الميداني أقوى من أي اتفاق سياسي.

(الأخبار)

جنوبيون يزيلون ركام منازلهم في بلدة زوطر الغربية (علي حشيشو)

عون يتحدّث عن نية إسرائيل احتلال علي الطاهر، وبري يقول إن الاستقرار يبدأ بانسحاب إسرائيل

مقالة

نقد أخلاق النصر

كريم حداد

ثمة فكرة أخلاقية تسللت إلى وعينا الحديث حتى كادت تصبح بديهية: لكي نقاوم ينبغي أن نؤمن بأننا سننتصر. ولكي نعمل من أجل تغيير العالم ينبغي أن نعتقد أن العالم قابل للتغيير بالقدر الذي يجعل النجاح مرجحًا. ومن يشك في ذلك يُتهم بالتشاؤم، ثم يُسحب التشاؤم سريعًا إلى اليأس، واليأس إلى الاستسلام، حتى يصبح التفاؤل فضيلة في ذاته، ويغدو الشك في المستقبل عيبًا أخلاقيًا.

كتاب «التشاؤم المفعم بالأمل» Hopeful Pessimism للفيلسوفة مارا فان دير لوغت، الصادر عن جامعة برينستون عام 2025، يشن هجومًا فلسفيًا هادئًا على هذه السلسلة من المسلمات.

الكتاب نقد لما يمكن تسميته «أخلاق النصر»: تلك الأخلاق التي تربط قيمة الفعل باحتمال نجاحه، وتجعل من الثقة بالمستقبل شرطًا للاستمرار في الحاضر. فالإنسان، وفق هذا المنطق، يحتاج دائمًا إلى «قصة نجاح» أمامه: انتصار سياسي قريب، حل تكنولوجي وشيك، تحول اجتماعي حتمي، أو تقدم تاريخي يكفل في النهاية مكافأة الذين وقفوا في الجانب الصحيح. وما إن تتراجع احتمالات هذه النهاية السعيدة حتى يظهر السؤال المحبط: ما جدوى الاستمرار؟

تبدأ المؤلفة بتفكيك واحد من أكثر الالتباسات رسوخًا: التشاؤم ليس القدرية. أن تعتقد أن الاحتمالات سيئة لا يعني أن تعتقد أن المستقبل مغلق. قد يرى المرء أن مشروعًا ما مرشح للفشل، وأن موازين القوى ضده، وأن التاريخ لا يقدم سببًا كافيًا للثقة، ثم يعمل مع ذلك بكل ما لديه لمنع النتيجة التي يخشاها. المشكلة ليست في التشاؤم بل في الاعتقاد بأن لا شيء يمكن فعله. وهذه القدرية قد ترتدي ثيابًا قاتمة، لكنها تستطيع أيضًا أن ترتدي ثياب التفاؤل: التكنولوجيا ستحل الأزمة، التاريخ يسير حتمًا نحو التقدم، الأمور ستستقيم من تلقاء نفسها. في الحالتين ينتهي الإنسان إلى النتيجة ذاتها: لا حاجة ملحة إلى الفعل.

لهذا ترى فان دير لوغت أن المتشائم قد يكون، على نحو يبدو مفارقًا، أكثر قدرة على الاستمرار من المتفائل. النشاط الذي يعتمد على توقع النجاح شديد الهشاشة؛ كل خسارة تهدد الأساس النفسي الذي قام عليه. أما من لا يجعل التزامه مشروطًا بمكافأة قريبة، فيستطيع أن يتحمل الخيبات بصورة مختلفة. تستخدم المؤلفة استعارة جميلة: النشاط المتشائم قد يكون نارًا بطيئة الاحتراق، لا تحتاج كل يوم إلى وقود الانتصارات الصغيرة لكي تبقى مشتعلة.

هنا يبرز ألبير كامو بوصفه أحد الأرواح الفلسفية التي تسكن الكتاب. فكامو، في قراءاتها، يقدم نموذجًا لمقاومة لا تحتاج إلى ضمان تاريخي. ثمة أفعال نفعلها لأن عدم فعلها أسوأ أخلاقيًا، لا لأن نجاحها مضمون. نقاوم الظلم لأن الظلم لا يصير مقبولًا لمجرد أن ميزان القوى يميل إليه. ندافع عن البشر لأن قيمتهم لا تتوقف على إمكانية إنقاذهم جميعًا. ونقف في جانب الحياة لأن احتمالات المنتصرين ليست هي التي تقرر أي جانب يستحق الوقوف معه. هكذا تنفصل أخلاق الفعل عن أخلاق النتيجة. وهو لا يعني اللامبالاة بالنتائج. فالكتاب لا يقول إن التخطيط غير مهم، ولا إن الكفاءة والاستراتيجية وحساب موازين القوى أمور ثانوية. على العكس، من يأخذ قضيته بجدية يريد أن تنجح أفعاله، ولذلك يختار الوسائل الأكثر فاعلية. لكنّ هناك فرقًا بين أن تسعى إلى النجاح، وبين أن تجعل احتمال النجاح شرطًا أخلاقيًا مسبقًا للفعل.

وتكمن هنا إحدى أخطر نتائج «أخلاق النصر». فهي تنتج ناشطًا لا يحتمل التاريخ الحقيقي، وهو خلافًا للأساطير التي نكتبها عنه لاحقًا، مليء بالتراجعات والانكسارات والطرق المسدودة والانتصارات المؤقتة. ومن هنا تأتي فكرتها الأكثر ابتكارًا، التمييز بين ما تسميه «الأمل الأخضر» و«الأمل الأزرق».

«الأخضر» يقول إننا نستطيع أن نفعلها، مستندًا إلى معطيات إيجابية ونجاحات سابقة، وإلى تقدير بأن المستقبل قد ينفتح على نتيجة حسنة. لا مشكلة في هذا النوع من الأمل، ما دامت أسبابه قائمة... وهنا يظهر «الأزرق»، ورسالته ليست «سننجح»، بل «علينا أن نحاول». لهذا تستطيع فان دير لوغت أن تقول إن الأمل الأزرق أقرب إلى العدالة والواجب منه إلى التفاؤل. الأكثر إثارة أن هذا الأمل يولد من الشيء الذي يزعج المتفائل: عدم اليقين. فالمتفائل يريد أسبابًا تجعله يعتقد أن الغد سيكون أفضل. أما المتشائم المفعم بالأمل، فيكتفي بأن الغد لم يُكتب بعد. لا توجد حتمية للتقدم، لكن لا توجد أيضًا حتمية للانحدار. المستقبل مفتوح، وخطورته نفسها هي مصدر إمكانه. ما دام التاريخ لم يُغلق، فلا يوجد حكم نهائي يمنع الشر انتصاره قبل وقوعه. والكتاب أكثر جرأة لأنه يعيد الاعتبار حتى إلى الحزن واليأس.

ثقافتنا المعاصرة شديدة الارتياب في المشاعر السلبية. ما إن يعبّر شخص عن خوفه أو حزنه أو يأسه حتى يبدأ الخطاب العلاجي: عليك أن تحافظ على الإيجابية، أن تبحث عن الجانب المشرق، أن تتمسك بالأمل. وفي ذلك، بحسب فان دير لوغت، قدر من القسوة الخفية. فالإنسان الذي يتألم بسبب خسارة حقيقية يُحمَّل عبئًا إضافيًا: عليه الآن أن يشعر بالذنب لأنه لا يتعامل مع الألم بتفاؤل كافٍ.

الحزن، في المقابل، قد يكون معرفة. نحن نحزن لأن شيئًا له قيمة قد فُقد. ولذلك يمكن للحزن أن يكون بداية التزام، لا نهايته. وتعتمد المؤلفة هنا على فكرة قريبة من جوديث بتلر: الحداد قادر على إعادة تشكيل إحساسنا بالهشاشة والمسؤولية المشتركة، أي إن الألم نفسه قد يصبح موردًا سياسيًا وأخلاقيًا.

لا يهم إن كنت متفائلًا أو متشائمًا، لأن الاختبار الحقيقي هو ما تفعله، والأمل الذي لا يتحول إلى فعل لا يساوي شيئًا، والتشاؤم الذي يتحول إلى ذريعة للانسحاب لا يساوي شيئًا كذلك

حتى اليأس لا تضعه الكاتبة في خانة واحدة. ثمة يأس يشل الإرادة بالفعل، لكنه ليس الصورة الممكنة الوحيدة. قول الإنسان «أنا يائس» قد يعني الاستسلام، وقد يعني أيضًا أن الوضع صار بالغ الخطورة إلى حد أن كل شيء في داخله يصرخ طلبًا للفعل. ومن ثم يصبح اليأس أحيانًا شكلًا من أشكال الإدراك الحاد للواقع، لا مجرد ضعف نفسي.

في الصفحات الأخيرة يصل الكتاب إلى نتيجة تكاد تجعل عنوانه نفسه مؤقتًا. بعد أن يؤدي مفهوم «التشاؤم المفعم بالأمل» وظيفته في تحرير التشاؤم تقريبًا من تهمة الاستسلام، تقول فان دير لوغت إنه يمكننا الاستغناء عن صفة «المفعم بالأمل». كن متفائلًا أو متشائمًا، لا يهم كثيرًا. الاختبار الحقيقي هو ما تفعله. الأمل الذي لا يتحول إلى فعل لا يساوي شيئًا، والتشاؤم الذي يتحول إلى ذريعة للانسحاب لا يساوي شيئًا كذلك.

ربما لهذا تبدو هذه الفلسفة مناسبة لزمننا أكثر من خطاب التحفيز الذي يملأ السياسة والثقافة العامة. فالبشر الذين يعيشون الحروب والكوارث والانهيارات البيئية والسياسية لا يحتاجون دائمًا إلى من يَعِدهم بأن كل شيء سيكون بخير. أحيانًا يحتاجون إلى فكرة أكثر صلابة: قد لا يكون كل شيء بخير، ومع ذلك تبقى هناك أشياء تستحق أن نقاتل من أجلها. الفضيلة هنا ليست الثقة بالنصر، بل الوفاء للقضية. ليست القدرة على إقناع النفس بأن النهاية سعيدة، بل القدرة على النظر إلى الاحتمال الأسوأ من دون أن يمنحنا ذلك عذرًا للانسحاب. وربما تكون المقاومة، بمعناها الأخلاقي الأوسع، هي بالضبط هذه القدرة: أن تعرف أن التاريخ لا يدين لك بشيء، ثم تواصل مطالبته بالعدالة.

أميركيون – لبنانيون لحكومتهم: توقفوا عن دعم إسرائيل

رضا صوايا

بالنسبة إلى عائلات لبنانية كثيرة تحمل الجنسية الأميركية، لم تكن الحرب في جنوب لبنان حدثاً يجري بعيداً. فالحرب طالتها وإن من بعد، واستهدفت أرزاقها وممتلكاتها. منازل بنتها العائلات على مدى عقود، وأراضٍ انتقلت ملكيتها من جيل إلى آخر، وقرى بقيت صلة مادية وعاطفية بين أفراد الجالية وبلد الأجداد، تحولت إلى أنقاض.

تكمن المفارقة أن أصحاب هذه الممتلكات يعيشون اليوم في الولايات المتحدة، ويحملون جنسيتها، فيما تم تدمير منازلهم في لبنان خلال عمليات عسكرية نفّذها الجيش الإسرائيلي، حليف واشنطن، وباستخدام أسلحة ومعدات أميركية الصنع أو أميركية المصدر. ومن هنا، انتقلت القضية من الجنوب اللبناني إلى الولايات المتحدة حيث لجأ عدد من أبناء الجالية اللبنانية إلى القضاء الأميركي ورفعوا دعوى من خلال «الرابطة العربية الأميركية للحقوق المدنية (ACRL) «لمطالبة الحكومة الأميركية والشركات الأميركية بالتعويض عن ممتلكاتهم التي دمرت.

في ديربورن بولاية ميشيغان، حيث تشكّل الجالية العربية واحدة من أكبر التجمعات العربية في الولايات المتحدة، يشرح ناصر بيضون، رئيس «الرابطة العربية الأميركية للحقوق المدنية»، لـ«الأخبار» إن «المنظمة معنية بالدفاع عن حقوق العرب والمسلمين في الولايات المتحدة»، ويذكّر بأنها كانت «المنظمة الأولى التي خاضت معركة قضائية ضد حظر السفر الذي فرضته إدارة دونالد ترامب الأولى على مواطني عدد من الدول ذات الغالبية المسلمة وفازت بها». ويشدد بيضون أن على «الحكومة الأميركية واجب حماية مصالح المواطنين الأميركيين».

ولا تزال الصورة الكاملة لحجم الأضرار التي لحقت بالممتلكات المملوكة لأميركيين غير متوافرة بصورة نهائية. ويقدّر بيضون أن «عدد المنازل التي يملكها مواطنون أميركيون في بنت جبيل وحدها قد يتراوح بين 500 وألف منزل». لكنه يؤكد عدم وجود رقم نهائي حتى الآن لعدد المنازل التي دمرت بالكامل أو تضررت جزئياً، معتبراً أن تحديد الأرقام الدقيقة يقع في نهاية المطاف على عاتق الحكومة اللبنانية.

ويقف خلف الدعوى التي قدمت منذ يومين نحو 180 عائلة تمتد روابطها بلبنان عبر أجيال متعاقبة. ويتوقع بيضون أن يرتفع هذا العدد مع تقدم القضية وتواصل عائلات لبنانية-أميركية أخرى مع المنظمة لتوثيق الأضرار التي لحقت بممتلكاتها.

الأساس القانوني للدعوى

تستند الدعوى إلى ما يُعرف بـ«قانون ليهي» («Leahy Law»)، الذي يحظر على الحكومة الأميركية وتحديدًا المساعدات العسكرية أو التدريب إلى وحدات من قوات الأمن الأجنبية عندما تتوافر معلومات موثوقة تفيد بارتكابها انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان.

ويقول المحامي نبيه عيّاد، مؤسس «رابطة الحقوق المدنية للعرب الأميركيين» والذي يتولى القضية، إن الدعوى «فريدة من نوعها لأنها تطعن في قرار المسؤولين الأميركيين أنفسهم بمواصلة تقديم الدعم لإسرائيل رغم الشكاوى والمعلومات المتوافرة لديهم عن انتهاكاتها الفاضحة لحقوق الإنسان وبما يتعارض مع نص القانون الأميركي».

ويضيف أن وزارة الخارجية الأميركية «تلقت مئات الشكاوى المتعلقة بانتهاكات منسوبة إلى إسرائيل، من دون أن تؤدي هذه الشكاوى إلى وقف الخدمات أو المساعدات، فيما سبق للولايات المتحدة أن علّقت مساعدات وخدمات عن وحدات وأجهزة أمنية في دول أخرى ألف المرات عندما توافرت معلومات عن انتهاكات جسيمة».

بذلك، لا تحاول الدعوى فقط إثبات وقوع أضرار في لبنان، بل تسعى إلى نقل النقاش إلى مستوى أخر وهو حول إخفاق الإدارة الأميركية عمداً في تطبيق قانون وضعه الكونغرس تحديداً لمنع استخدام الموارد الأميركية في دعم جهات يُشتبه بارتكابها انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان. ورغم أن القضية لا تستند إلى سابقة قضائية مماثلة، فإن غياب السابقة لا يعني، في نظر عيّاد، انعدام إمكانية النجاح. ويستحضر في هذا الإطار تجربة سابقة للرابطة نفسها، «التي كانت المنظمة الأولى التي نجحت في الطعن قضائياً في قرار حظر السفر الذي فرضته إدارة دونالد ترامب الأولى على مواطني عدد من الدول ذات الغالبية المسلمة».

أما بيضون، فيقول إن المنظمة ما يكفي من الأدلة لإثبات أن الجيش الإسرائيلي ارتكب انتهاكات لحقوق الإنسان تندرج، ضمن نطاق هذا القانون، وإن استمرار المساعدات الأميركية لإسرائيل يطرح بالتالي أسئلة قانونية جدية».

لكن الاستناد إلى «قانون ليهي» لا يشكل سوى جزء من المعركة القانونية. فقبل أن تبحث المحكمة في هذه الادعاءات، سيكون على أصحاب الدعوى أولاً تجاوز السؤال الأساسي: هل تملك المحكمة الأميركية أصلاً صلاحية النظر في هذه القضية؟

يوضح بيضون أن «هذه القضية هي الأولى من نوعها ولا يوجد سوابق قانونية مشابهة»، مضيفاً أنها «ستكون أيضاً أول دعوى يتواجه فيها مواطنون أميركيون مع شركات أميركية على خلفية توريد القنابل والجرافات والذخائر التي استُخدمت في تدمير منازلهم» في لبنان. ويعتبر الإسرائيلي أن «العقبة الأولى ستكون في أن تقبل المحكمة النظر في القضية».

من جانبه يشرح عيّاد أن المواطنين الأميركيين يدفعون ضرائب تمول الحكومة الفدرالية، بينما تستخدم الحكومة جزءاً من مواردها في تقديم الدعم العسكري لإسرائيل، ثم تُستخدم أسلحة ومعدات أميركية في عمليات تؤدي إلى تدمير ممتلكات يملكها مواطنون أميركيون في لبنان. لذلك يرى عيّاد أن مكان المنزل لا ينبغي أن يكون العامل الحاسم في تحديد حقوق صاحبه.

وهذه الحجة، إذا وصلت إلى مرحلة المحاكمة، يمكن أن تفتح باباً قانونياً بالغ الحساسية، لأنها تضع أمام القضاء سؤالاً يتجاوز لبنان وإسرائيل: ما حدود مسؤولية الحكومة الأميركية تجاه مواطنيها عندما تتسبب سياساتها الخارجية، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، في أضرار لممتلكاتهم في الخارج؟

إذا اعترفت المحاكم الأميركية بإمكانية لجوء المواطنين الأميركيين إلى القضاء للمطالبة بتعويضات من الحكومة الأميركية عن ممتلكات دمرها جيش حليف خلال عملية عسكرية تستخدم أسلحة أميركية، فإن تداعيات ذلك قد تتجاوز لبنان بكثير. وقد تجادل الحكومة الأميركية بأن قبول هذا النوع من الدعاوى يمكن أن يعرّض الولايات المتحدة لمسؤوليات مالية ضخمة كلما تعرضت ممتلكات مواطنين أميركيين في الخارج للدمار خلال عمليات عسكرية تنفذها جيوش أجنبية وتحظى بدعم أميركي.

بمعنى آخر، لا تتعلق القضية فقط بنحو 180 عائلة، ولا حتى بلبنان وحده. فهي تطرح سؤالاً أوسع بكثير حول الحدود الفاصلة بين السياسة الخارجية الأميركية وبين الحقوق القانونية للمواطنين الأميركيين الذين يملكون عقارات أو استثمارات أو ممتلكات في الخارج.

شركات السلاح... متهمة

الشق الآخر من الدعوى أكثر إثارة للجدل ويطال الشركات الأميركية المصنعة للأسلحة والمعدات العسكرية. وللمرة الأولى، وفق عيّاد، تستهدف الدعوى شركات مثل «بوينغ» و«لوكهيد مارتن» و«كاتربيلر»، باعتبار أن منتجاتها استُخدمت في عمليات أدت إلى تدمير منازل أميركيين في جنوب لبنان. ويستند المدعون، بحسب عيّاد، إلى مبادئ قانونية أميركية تتعلق بمسؤولية الشركات الأميركية عندما تكون على علم بأن منتجاتها تُستخدم بطريقة تؤذي أشخاصاً أو تنتهك حقوقهم.

ويشير عيّاد إلى حالة صندوق التقاعد الحكومي النرويجي، الذي سحب استثماراته من شركة «كاتربيلر» عام 2024 بسبب مخاطر استخدام الجيش الإسرائيلي لمعدات وجرافات الشركة في هدم المنازل والانتهاكات في غزة والضفة الغربية. وبالنسبة إليه، فإن أهمية هذه السابقة تكمن في معرفة الشركة بطريقة استخدام منتجاتها.

لا تقتصر مطالب الدعوى، وفق عيّاد، على وقف الدعم العسكري. إذ تطالب الرابطة أولاً بوقف الدعم والخدمات المقدمة إلى الجيش الإسرائيلي إلى حين الحصول على ضمانات، بحسب وصفه، بأن هذه الموارد لن تستخدم في ارتكاب انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان في لبنان. كما تطالب بتعويضات مالية عن المنازل التي دمرت، وعن الأضرار التي لحقت بالأشخاص الذين مُنعوا من العودة إلى ممتلكاتهم.

أما في مواجهة الشركات، فتسعى الدعوى إلى منع استخدام منتجاتها في أفعال تصفها الرابطة بأنها انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان في جنوب لبنان. وهنا تتحول القضية من محاولة للحصول على تعويض عن بيوت مهدمة إلى محاولة لوضع شروط قانونية على استمرار العلاقة بين المال الأميركي والسلاح الأميركي والعمليات العسكرية الإسرائيلية.

ويتوقع عيّاد وبيضون أن تسعى الحكومة الأميركية إلى إسقاط الدعوى قبل أن تصل إلى مرحلة النظر في جوهرها. فالولايات المتحدة وفقاً لهما، برجح أن تدفع بأن القضية تتصل مباشرة بالسياسة الخارجية، وأن القضاء لا يملك صلاحية التدخل في قرارات تتعلق بإدارة الحرب والتحالفات الدولية.

وإذا قبل القضاء مبدأ أن الحكومة الأميركية يمكن أن تكون مسؤولة عن كل خسارة تلحق بممتلكات مواطن أميركي نتيجة عملية عسكرية تنفذها دولة حليفة في الخارج، فإن نطاق المسؤولية قد يصبح واسعاً للغاية، وقد يفتح الباب أمام دعاوى تتعلق بعمليات عسكرية أميركية أو أجنبية في دول عدة. لكن أصحاب الدعوى يعتقدون أن هذه الحجة لا تنهي المسألة، لأنهم لا يطلبون من المحكمة أن تدير السياسة الخارجية الأميركية، بل أن تلزم السلطة التنفيذية باحترام قانون أقره الكونغرس.

وفق المعايير الأميركية، هذه أول دعوى يتواجه فيها مواطنون أميركيون مع شركات أميركية على خلفية توريد القنابل والجرافات التي استُخدمت في تدمير منازلهم

تقرير

الجيش: عاقل بين متطرفين

فراس الشوفي

تثير وقائع الجلسة النيابية الأخيرة حول قانون العفو العام، وما بدر من رئيس الحكومة نواف سلام تجاه وزير الدفاع ميشال منسّى، والمنحى الطائفي الذي تمّ توظيفه بعدها، الكثير من المخاوف حول مستقبل العمل السياسي والوضع الأمني في لبنان، خصوصاً أن سلام ليس من صنف السياسيين التقليديين، بل جرى تسويقه كأبرز وجوه النخبة والتكنوقراط في البلاد.

كواليس النقاشات بين سلام ومنسّي، بحضور الرئيس نبيه بري ونائبه إلياس بو صعب، كلها تفاصيل مقلقة، تلاها منسّي من دون قفازات أمام وفد قيادة الجيش الذي زاره أول من أمس. وهو قال إن ما دفعه إلى التراجع عن إلقاء كلمته هو إعلان سلام قبل جلسة صباح الأربعاء، عزمه على ترك الحكومة والاستقالة، في حال ألقى منسّي كلمة الجيش، قبل أن يغادر منفعلاً من مكتب بو صعب. ما دفع منسّي إلى العدول عن إلقاء كلمته، وقال إنه لم يرغب في أن يكون سبباً لهزة سياسية من هذا النوع، وقرّر إصدار بيان بلخّص كلمته أمام اللبنانيين، حفظاً لحقوق الشهداء العسكريين الذين ارتقوا في معارك أو اعتداءات من الجماعات التكفيرية.

> **سلام هدد بالاستقالة متسلحاً بدعم سعودي ما دفع وزير الدفاع إلى التراجع خصوصاً بعدما بقي وحيداً في ظل صمت عون**

في الجلسة الأولى يوم الثلاثاء، فهم منسّي من كلام رئيس الحكومة «عم تحط الجيش بوجه الطائفة السنيّة» وسياق الحديث، أنه لم يصدر من رئيس الحكومة حرصاً على الجيش، بل تهديداً واضحاً لمنسّي والجيش، وهو ما أكّده منسّي أمام الضباط. وخطورة كلام رئيس الحكومة، مركّبة من طبقات، أوّلها أن القاضي المحترف آتٍ من خلفية لا طائفية وكان يبشّر قبل تولّيه السلطة باستكمال تطبيق اتفاق الطائف وإلغاء الطائفية السياسية، لكنه لجأ إلى التلويح الطائفي لفرض رأي على وزير في حكومته وعلى الجيش. المسألة الثانية، هي اعتبار سلام، أن الطائفة السنيّة تقف خلف مجموعة من الوجوه التي انخطرت في الجماعات التكفيرية، وقتلت مئات العسكريين (بينهم ما يزيد عن مئتي جندي سنّي) من دون أي تمييز، وكان أحمد الأسير أو نعيم عبّاس هما من يمثّلان الطائفة السنيّة، أكثر ممّا تمثلها عائلات العسكريين الشهداء، أو عائلات الآلاف الجنود والضباط الذين يشكّلون اليوم ما لا يقل عن ثلث عديد الجيش اللبناني. فجاء انفعال رئيس الحكومة في غير محلّه، كون كلام وزير الدفاع، كان ليشكّل إرضاءً معنوياً للجيش، الذي أدرك أن القرار السياسي بإصدار قانون عفو عام عن قتلة جنوده وضباطه قد صدر قبل الجلسة بكثير، وأن لا أحد جدياً في البلد يعارض إقرار قانون العفو، طالما أن كل طائفة حازت على حصّة من العفو عن مساجينها. علماً أنه من الواضح للجميع أن الموقف السعودي الداعم والمشجّع لرئيس الحكومة، دفع سلام إلى التشدّد في موقفه، وهو الذي خشي أن يطير قانون العفو بعدما ظهر أن عدداً من الكتل، وفي حال قررت التضامن مع وزير الدفاع، كانت لتسقط القانون. عملياً، استفاد سلام من الموقف السعودي إلى حدوده القصوى، فجمع غالبية النواب السنّة حوله، مقابل عدم التفاف كل النواب المسيحيين حول وزير الدفاع، لا سيما أن «القوات اللبنانية» سعت إلى إرضاء السعوديين وأهالي الموقوفين الإسلاميين وتصفية حسابات سياسية أخرى. حتى أن سلام استفاد من دعم التيار الوطني الحر لموقف وزير الدفاع أكثر مما استفاد الوزير.

مناورة بالذخيرة الحية في جرد بريتال شرقي لبنان (الجيش اللبناني)

كما حصد سلام جراء الموقف السعودي، موقفاً متحفظاً من رئيس الجمهورية جوزف عون عن تقديم دعم علني لوزير الدفاع والجيش كي لا يظهر أن هذا الدعم موجهاً ضد رئيس الحكومة ومن خلفه السعودية. كما استفاد سلام في محاولة خلق «عصب سنّي» جديد انطلاقاً من قانون العفو العام والشارع المؤيد للإسلاميين، خصوصاً أن السعوديين اليوم لا يفكرون إلا بالتنافس مع الإماراتيين، والقضاء على ما تبقّى من إرث وتأثير لآل الحريري في الشارع، بعد حملات الاجتثاث من مؤسسات الدولة.

تبعث هذه الأجواء المحيطة بالجيش على القلق، لا سيّما أنها تأتي في ظلّ المهام الكبرى الملقاة على عاتقه، ومحاولات كثيرين في الداخل والخارج الضغط على المؤسسة وقيادتها وقائدها العماد رودلف هيكل، للدخول في صدام مع حزب الله ونزع سلاحه بالقوّة، رغم استمرار الاعتداءات الإسرائيلية واحتلال مساحةٍ واسعة من أرض الجنوب. وهنا لا بدّ من التذكير، بأن موقف قيادة الجيش، اليوم هو الموقف العقلاني وسط مجموعة من الآراء المتطرفة، والمؤسسة هي فعلياً من ستتحمل نتائج القرارات المتطرفة في لحظة انقسام دولي وإقليمي ومحلي. وهذا ما يدفع بالقيادة الوسطى الأميركية «سينتكوم»، إلى احترام خيارات الجيش وقائده والتعامل معها بصفتها أفكار عملانية تؤدي الغرض المطلوب أميركياً من دون أن تفجّر الجيش أو البلاد، رغم أن حلقات الضغط تضيق، والمتطلبات العسكرية والأمنية الأميركية من الساحة اللبنانية تتوسّع.

ويزيد استمرار العدوان الإسرائيلي، والحملات الداخلية ضد الجيش، استسهال الهجوم على المؤسسة (في عزّ اتكال حكومة سلام عليها)، ما يهدّد بتجريد البلاد من أي قوّة ضامنة للسلم الأهلي عبر تهشيم المؤسسة بحملات إعلامية وسياسية ممنهجة، بالتوازي مع صعود العصب الطائفي والمذهبي في مختلف أنحاء البلاد. إضعاف الجيش وتقدّم العصب الطائفي، هما الوصفة المثالية حالياً، لتسليم البلاد إلى زعامات محلية مذهبية أو طائفية متطرفة، تنمو على هوامش الفوضى الاجتماعية والأمنية الحالية، خصوصاً أن البنى التقليدية في المجتمع اللبناني، تفقد تأثيرها وقدراتها الاقتصادية شيئاً فشيئاً، ولم يعد هناك «كبير» عند اللبنانيين.

هيكل من الحدود الشرقية: سنحمي الاستقرار والحدود

أطلق قائد الجيش العماد رودلف هيكل، مواقف مهمة خلال المناورة التي أجرتها القوات المنتشرة على الحدود الشرقية مع سوريا أول من أمس، مختصراً ذلك بثلاث مهام أساسية للجيش: الدفاع عن الاستقرار والأمن في الداخل، استعادة كامل الأرض المحتلة والسعي إلى تطوير القوة بالقدرات الذاتية. أهمية المناورة تكمن في توقيتها وشكلها ومكانها، فهي تأتي في اليوم الذي صدر فيه قانون العفو العام ومن بين المستفيدين، متورطون في استهداف الجنود في الحدود الشرقية، من بينهم شهداء فوج الحدود البري الرابع الذي زار هيكل مقره.

واختبر الجيش عملية دمج الأسلحة ومختلف القوات المنتشرة في البقعة القريبة، في مهمة الدفاع عن موقع عسكري ضد هجمات قوات معادية، وتضمن العتاد والأسلحة استخدام المروحيات والقصف والمراقبة من الطائرات المسيرة واستخدام الدبابات والآليات الخفيفة ودراجات الكروس، وبمشاركة قوات من أفواج وألوية متعددة.

تقرير

المعابر الشمالية مع سوريا: تزايد تهريب الأفراد والمازوت

تمجيد قيسي

تشهد المعابر الحدودية الشمالية بين لبنان وسوريا تنامياً ملحوظاً في حركة تهريب الأفراد، بالتوازي مع انتقال جزء من نشاط تهريب المحروقات من الحدود الشرقية إلى مسارات شمالية، ما يطرح علامات استفهام أمنية واقتصادية حول طبيعة التهريب الناشطة وقدرتها على إعادة توزيع نشاطها بين المعابر وفقاً للإجراءات المُتّخذة على كل مسار.

وبحسب مُعطيات أمنية وميدانية، يدفع الراغبون في العبور من الجانب السوري إلى لبنان نحو 120 دولاراً للشخص الواحد، لقاء تأمين مرورهم عبر مسارات غير شرعية. وبرز خط المعاجلين - وادي خالد خلال الفترة الأخيرة كأحد أكثر خطوط التهريب نشاطاً، مع تسجيل عبور يومي لأعداد كبيرة من السوريين، إضافة إلى أجانب، عبر طرق غير قانونية، ما يعكس اتساع شبكة تهريب الأفراد ومحاولتها الاستفادة من طبيعة الحدود الشمالية وتضاريسها، ومن تفاوت الإجراءات الأمنية بين مسار وآخر.

وتتداخل في حركة العبور دوافع اقتصادية وأمنية. فجزء من السوريين الذين يدخلون لبنان بصورة غير شرعية سبق أن غادروا الأراضي اللبنانية بعد سقوط النظام السوري، قبل أن يعودوا عبر المعابر غير الشرعية، متذرّعين بتدهور الأوضاع الاقتصادية في سوريا. كما تسجّل الحركة ارتفاعاً ملحوظاً في نهاية كل شهر، مع عودة سوريين مُسجّلين لدى الأمم المتحدة إلى لبنان لتسلّم المساعدات المالية المُخصّصة لهم، قبل أن يعود بعضهم إلى سوريا عبر طرق غير شرعية. إلا أن هذه الحركة لا تُفسَّر بعامل اقتصادي واحد، في ظل تسجيل موجات نزوح جديدة مرتبطة بالأوضاع الأمنية، ولا سيما تداعيات أعمال العنف والمجازر التي شهدها الساحل السوري، فضلاً عن مضايقات تطاول العلويين في مناطق مختلفة، بما يدفع بعض العائلات إلى مغادرة مناطقها.

وفي المقابل، تثير طبيعة بعض الداخلين عبر المعابر غير الشرعية هواجس لدى أجهزة أمنية تقول مصادرها إن بين الموقوفين بعد دخولهم لبنان أشخاصاً سبقت لهم المشاركة في معارك داخل سوريا أو الانخراط في تنظيمات مسلّحة، بينها تنظيمات مُصنّفة إرهابية. وتقول المصادر إن الخشية لا ترتبط بمجرد ارتفاع أعداد المتسلّلين، بل بإمكان وجود أفراد ذوي خلفيات قتالية أو تنظيمية يمكن أن تستغلّهم جهات مختلفة في أنشطة لاحقة.

وتزداد هذه المخاوف، وفق المصادر نفسها، في ظل انتشار السلاح في سوريا بعد سقوط النظام، فضلاً عن احتمال استغلال حالة الفوضى الحدودية لتنفيذ عمليات أمنية أو تحركات ذات طابع استخباري، بما في ذلك احتمال وقوع أعمال أمنية قد تحمل بصمات إسرائيلية.

ولا تبدو الحركة الحالية محصورة بتهريب الأشخاص. وبحسب معطيات ميدانية، فإن الإجراءات التي اتُّخذت على عدد من المسارات الشرقية، ولا سيما من الجانب السوري، ووجود اختلاف طبيعة ومستوى الرقابة على بعض المعابر الشمالية، ساهمت في إعادة توجيه جزء من حركة التهريب نحو الشمال. إلا أن ذلك لا يعني، بحسب هذه المصادر، انتقال النشاط بالكامل من منطقة إلى أخرى. وبمقاطعة المعطيات، يبدو المشهد أقرب إلى إعادة توزيع للأدوار بين شبكات التهريب على المعابر المختلفة، لا إلى انتقال كامل للنشاط من الحدود الشرقية إلى الشمالية. فإغلاق مسار بصورة كاملة ودفع المهرّبين إلى مسار آخر ليسا بالضرورة خياراً مُستداماً، إذ سرعان ما تعمل الشبكات على تعديل طرقها ومساراتها تبعاً للإجراءات الأمنية. وأوضح مصدر في الجيش اللبناني أن الأمر لا يرتبط بسياسة تقوم على «ترخية» الإجراءات في منطقة وتشديدها في أخرى، بل بقدرة شبكات التهريب على التكيّف سريعاً مع التدابير الأمنية، إذ «قد تكون هناك تدابير في مكان، وفي لحظة واحدة تفلت الحركة إلى مكانٍ آخر».

إمكانات محدودة للجيش

تقول مصادر الجيش اللبناني لـ«الأخبار» إن الجيش يتّخذ «ضمن الإمكانات المُتاحة»، سلسلة تدابير لمواجهة عمليات التهريب وضبط الحدود. إلا أن هذه المهمة تصطدم بـ«ضعف الإمكانات البشرية والمادية». ولفت إلى أن اتساع الحدود اللبنانية - السورية وتضاريسها يجعل ضبطها بالكامل مهمة شديدة الصعوبة، ولا سيما في ظل تعدّد المسارات غير الشرعية التي تستخدمها شبكات التهريب وقدرتها على تغيير طرقها بسرعة. وتشير المصادر نفسها إلى أن الجانب السوري «يشدّد إجراءاته» على الحدود، مؤكداً أن التواصل والتنسيق بين الأجهزة الأمنية اللبنانية والسورية «متواصلان بصورة دائمة، وليس فقط على أساس يومي، بل لحظوي في بعض الأحيان»، بما يتيح تبادل المعلومات ومواكبة حركة العبور والتهريب على جانبي الحدود.

> **زاد عدد الأفراد الذين دخلوا بصورة غير شرعية، مع ذروة في نهاية كل شهر، ربطاً بعودة المُسجّلين لدى الأمم المتحدة لتسلّم مُخصّصاتهم**

المازوت يسلك طرقاً جديدة

وفي هذا السياق، تفيد معلومات بأن جزءاً كبيراً من عمليات تهريب المازوت انتقل خلال الفترة الأخيرة من شبكات كانت تنشط على الحدود الشرقية إلى شبكات تعمل عبر المعابر الشمالية، فيما لا تزال أنشطة تهريب أخرى مرتبطة بالمسارات الشرقية، حيث يُسجّل نشاط جهات محلية في سوق المحروقات، والتي تعمل على شراء كميات كبيرة من المازوت من السوق المحلية، قبل تهريب جزء منها إلى سوريا عبر المعابر الشمالية، فيما يعاد طرح جزء آخر في السوق السوداء بأسعار تتجاوز التسعيرة الرسمية.

ويفيد مصدر مطّلع بأن أحد النواب الحاليين، المعروف بنشاطه في مجال التهريب، يؤدّي دوراً أساسياً في هذه العمليات، إذ يعمد إلى شراء كميات كبيرة من المازوت من السوق المحلية، قبل إعادة بيعها بأسعار تفوق السعر الرسمي، فضلاً عن تأمين تهريب قسم منها إلى سوريا، و«يتقاضى ما بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف دولار عن كل نقلة محروقات يجري تهريبها من لبنان عبر المعابر الشمالية».

تقرير

المدّعي العام يواصل تقديم الخدمات للخارج

قرار بتسليم لواء سوري إلى سلطة دمشق

قبل يومين، صفّق مجلس النواب اللبناني لنفسه بحرارة بعد إلغائه عقوبة الإعدام، على اعتبار أنها «خطوة تاريخية» على طريق اعتماده المعايير الدولية لحقوق الإنسان. غير أن الدولة نفسها كانت في هذا الوقت نفسه تستعدّ لتسليم اللواء السوري المتقاعد (من الطائفة العلوية) عادل عيسى إلى دمشق، من دون أي اهتمام باحتمال تعرّضه للتعذيب أو الإعدام «على الهوية». فـ«الحمية» اللبنانية في ما يتعلق بالإنسان وحقوقه انتقائية، والمعايير الحقوقية تتبدّل بحسب هوية الشخص وطائفته والجهة التي يُطلب تسليمه إليها. وهي خطوة ينفّذها المدعي العام التمييزي القاضي أحمد الحاج عن سابق تصوّر وتصميم، في إطار خضوعه المستمر لسلطة الوصاية الأميركية – السعودية وحلفائهما من السلطات الجديدة في سوريا كما سلطة رام الله.

والمفارقة أن الحماسة نفسها كانت، إلى وقت قريب، حاضرة بقوة لدى السفارات الأجنبية والمنظمات الحقوقية، وفي مقدّمها مفوّضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين «UNHCR»، التي كانت «تستقتل» لعدم إعادة النازحين السوريين إلى بلدهم أو تسليم المعارضين السوريين إلى النظام السوري السابق إليه، انطلاقاً من «خطر تعرّضهم للاضطهاد أو التعذيب أو القتل وغيرها من الانتهاكات». تبدو اليوم، أنها تخلّت عن هذه الحماية، عندما أصبح المطلوب سورياً علوياً، وعندما لم يعد النظام الجديد في دمشق متمرّداً على منظومة الهيمنة الأميركية.

ولا تبدو سياسة «الكيل بمكيالين» محصورة بالسلطة اللبنانية أو المنظمات الحقوقية. فبعدما دأب أركان النظام الجديد، في لقاءاتهم مع المسؤولين اللبنانيين، على المطالبة بإعادة النظر في اتفاقيات التعاون والتنسيق الموقّعة بين البلدين، ووقّع وزير الخارجية السوري أسعد الشيباني مع رئيس الحكومة نواف سلام، في تموز الماضي، اتفاقية إنشاء لجنة عليا بين البلدين، عادت دمشق فجأةً إلى اتفاقية التعاون القضائي بين لبنان وسوريا الموقّعة في 27 تشرين الأول 1951، والتي ألحقت بها اتفاقية ثانية في عام 1997، مستندةً إليهما في طلب استرداد عيسى، الذي سلّمته إلى السلطات اللبنانية مع عيسى نفسه، بعد توقيفه داخل السفارة السورية.

> **مذكّرة توقيف وجاهية بحق عيسى بعد استجوابه في التهم السورية ومحاميه يستعد لتقديم طلب لجوء سياسي**

وبالفعل، تبلّغ عيسى بشكل غير رسمي أن النائب العام التمييزي أحمد رامي الحاج وافق على تسليمه إلى دمشق بحجّة «معاهدة الأخوّة» التي ينوي البلدان أصلاً نسفها، علماً أن لبنان موقّع على اتفاقيات جنيف التي تمنعه من تسليم المطلوبين الأجانب إلى دولهم، في حال سريان عقوبة الإعدام فيها.

من خاضع إلى آخر

وفي حال قيامه بذلك، سيصبح دم عيسى في رقبة السلطة اللبنانية، فيما ستتحوّل التسليم إلى سابقة ستُكرَّس في كل عمليات توقيف السوريين اللاحقة، ولا سيما المعارضين للنظام الجديد أو المختلفين عنه في الهوية الحماية، عندما أصبح المطلوب سورياً علوياً، وعندما لم يعد النظام الجديد في دمشق متمرّداً على منظومة الهيمنة الأميركية.

ولا تبدو سياسة «الكيل بمكيالين» محصورة بالسلطة اللبنانية أو المنظمات الحقوقية. فبعدما دأب أركان النظام الجديد، في لقاءاتهم مع المسؤولين اللبنانيين، على المطالبة بإعادة النظر في اتفاقيات التعاون والتنسيق الموقّعة بين البلدين، ووقّع وزير الخارجية السوري أسعد الشيباني مع رئيس الحكومة نواف سلام، في تموز الماضي، اتفاقية إنشاء لجنة عليا برأسها وزير العدل عادل نصار (أعضاؤها عدد من المدراء العامين والقضاة). ونصار هو نفسه الذي امتنع عن تسليم الموقوفين السوريين المتهمين بالإرهاب الذين طالبت دمشق بإعادتهم إليها، قبل أن يرضخ للأمر بقرار سياسي، وتحديداً عندما تلقّى رئيس حزبه، النائب سامي الجميل، اتصالاً من الرئيس السوري أحمد الشرع.

وعليه، بات مصير عيسى معروفاً: تسليمه إلى سوريا، بعد الإجراء الشكلي الذي قام به الحاج أمس، وهو استجوابه بالجرائم المنسوبة إليه في الطلب السوري: القتل والمشاركة في مجازر داخل سوريا، علماً أن طلب الاسترداد تضمّن مذكّرة توقيف غيابية سورية صادرة بحقّه في تموز الماضي. غير أن إجابات عيسى، كما الوقائع، تثبت عكس ذلك. فاتهامه بالقيام بمجازر دير الزور حينما كان رئيس اللجنة الأمنية في المنطقة، غير منطقي، على اعتبار أن مسؤوليته كرئيس للجنة لم تتعدّ 24 ساعة.

كما شدّد عيسى خلال استجوابه على أن دوره خلال الحرب السورية لم يكن أساسياً، لأنه، كما قال، إن أعلى المراكز التي تولاها كانت الفرقة 17، التي تُعد فرقة مشاة ومهمتها تتركّز في الشق التقني ومؤازرة الأجهزة الأمنية، نافياً أن يكون شارك في أي مجزرة أو قتل للسوريين. كما ذكر أنه تقاعد قبل سقوط نظام بشار الأسد، وتحديداً في عام 2020.

ومع ذلك، لم تشفع هذه الإجابات لعيسى، إذ كان القرار السياسي مُعدّاً سلفاً قبل سلوك المسار القانوني: مذكّرة توقيف وجاهية بالجرائم المنسوبة إليه ثم تسليمه، خصوصاً أن هذا الأمر يُعدّ من صلاحية النائب العام التمييزي ولا يحتاج إلى مرسوم أو قرار من الحكومة.

وتشير المعلومات إلى أن الحاج يعمد إلى تحضير ملف عيسى لإحالته إلى المديرية العامة للأمن العام، تمهيداً لتسليمه إلى الأمن العام السوري خلال أيام قليلة.

(الأخبار)

صورة متداولة للواء السوري المتقاعد عادل عيسى (ويب)

تقرير

العام الدراسي في الجنوب: ثانويات بلا مبانٍ وقرارات بلا آليات

فاتن الحاج

مع اقتراب انطلاق العام الدراسي 2026 - 2027، لا تبدو العودة إلى التعليم في الجنوب والنبطية مجرّد مسألة فتح أبواب المدارس والثانويات الرسمية. ففي منطقة أنهكتها الحرب، يرتبط مصير عدد من الثانويات بالوضع الأمني، وبحجم الأضرار التي لحقت بالمباني، وبقدرة الأهالي والطلاب والأساتذة على الوصول إليها، وقدرة الإدارات على تأمين التعليم البديل، والأهم بقرارات تنفيذية واضحة من وزارة التربية لم تصدر بعد.

وضعت الوزارة خطة لاستمرارية التعلّم، تقضي بأن يكون التعليم حضورياً في المؤسسات التي تستوفي شروط السلامة العامة والجاهزية، وأن يبدأ التعليم مؤقّتاً عن بُعد في المناطق المتضررة، إلى حين استكمال التقييم واتخاذ القرار المناسب. كما تنص الخطة على الحفاظ على «المدرسة الأم»، حتى عند الانتقال مؤقّتاً إلى مبنى آخر. لكن، بحسب مديري ثانويات تواصلت معهم «الأخبار»، لا تزال الفجوة كبيرة بين الخطة ومستلزمات تطبيقها على الأرض.

الجنوب ليس حالة واحدة

ولا تنحصر المشكلة بالثانويات الواقعة ضمن ما يُعرف بـ«المنطقة الصفراء»، إذ إن هناك ثانويات خارجها، يتعذّر على الأساتذة والطلاب الوصول إليها بسبب الموقع والظروف الأمنية.

ثانوية كامل الصباح الرسمية، القريبة من تلة علي الطاهر، تستعد مثلاً للتعليم عن بُعد رغم أنها ليست داخل هذه المنطقة. وفي المقابل، توجد ثانويات خارج «المنطقة الصفراء» تستطيع العودة إلى التعليم الحضوري، لكن أمامها تحدّيات أخرى، أبرزها تأمين الهيئة التعليمية والطلاب. وثمة ثانويات متضرّرة بدرجات متفاوتة تحاول إداراتها العودة حضورياً، فيما يبقى نجاح هذه المحاولة مرتبطاً بالوضع الأمني، وإقبال الطلاب، وعودة الأساتذة.

أمّا في الثانويات الواقعة في «المنطقة الصفراء»، فالصورة أكثر وضوحاً: العودة الحضورية تبدو متعذّرة، وثانويات في بلدات مثل ميس الجبل والطيبة والخيام وعيتا الشعب وبنت جبيل وحولا تتجه، وفق المديرين، إلى التعليم عن بُعد حكماً.

وهنا تنتقل المشكلة إلى مكان آخر: هل ستؤمّن الأجهزة والإنترنت للطلاب؟ وهل سيتمكن الأساتذة من الحصول على اتصال بالإنترنت يسمح لهم بإعطاء حصصهم بصورة منتظمة؟

القرار الشفهي لا يكفي

يقول المديرون إن وزارة التربية لم تصدر حتى الآن قرارات خطية تحدّد بدقة آلية التعامل مع الثانويات الأمامية والمحاذية. وبحسب هؤلاء، كانت هناك موافقات مبدئية شفهية على تصوّر يقضي بتسجيل الطالب في ثانويته الأم، ومتابعته التعليم عن بُعد فيها، مع إعطائه الحق في الالتحاق حضورياً بثانوية قريبة من مكان سكنه، على أن يبقى تابعاً إدارياً للثانوية التي سُجّل فيها، ويدفع رسم التسجيل فيها، وتصدر

> غياب الطلاب والأساتذة يهدّد عودة ثانويات للتعليم الحضوري

نتيجته منها.

لكنّ المديرين يعتبرون أن الموافقة الشفهية لا تكفي، لذلك يطالبون باليات حاسمة للتسجيل والدوام وإصدار النتائج تمنع الاجتهادات المتباينة.

بالنسبة إلى الأهالي، لا يتعلق الأمر بالتفاصيل الإدارية وحدها. فهم قلقون من الوضع الأمني، ويحتاجون إلى أن يعرفوا، قبل تسجيل أبنائهم، أين سيتعلمون، وهل سيكون التعليم حضورياً أم عن بُعد، وما إذا كان بإمكان أولادهم الالتحاق بثانوية قريبة من مكان سكنهم.

ويضاف إلى القلق الأمني العبء المالي. فرسم التسجيل الذي يقارب 150 دولاراً سنوياً قد لا يبدو كبيراً في الظروف العادية، لكنه يصبح عبئاً على عائلات خرجت من الحرب بأوضاع اقتصادية صعبة، وخصوصاً الأسر التي لديها ثلاثة أو أربعة أبناء.

لهذا، يقول مديرون إنهم يسجّلون الطلاب حالياً من دون استيفاء الرسوم، بانتظار حلّ من وزارة التربية لتغطية هذه الكلفة، ولا سيما في محافظتي الجنوب والنبطية، بالحد الأدنى.

الثانوية المدمّرة تبقى «أمّا»

لا تعني المحافظة على «الثانوية الأم»، وفق ما يقول مديرون، المحافظة على عنوان إداري فقط. فالثانوية مؤسسة تضم طلاباً وهيئة تعليمية وإدارية ومستخدمين وسجلّات وصندوقاً مالياً، حتى عندما يصبح مبناها غير صالح لاستقبال الطلاب. وهنا تظهر مشكلة صناديق بعض هذه الثانويات التي تعاني نقصاً في الموارد، فيما تبقى عليها التزامات تجاه المستخدمين.

ويلفت المديرون إلى أن هؤلاء المستخدمين لا ذنب لهم في تدمير الثانويات، واستمرار دفع مستحقاتهم يحتاج إلى موارد لا تملكها الصناديق حالياً. وبذلك، لا يلغي انتقال الطلاب إلى التعليم عن بُعد الأكلاف التشغيلية. فالثانوية التي لا تستقبل طلاباً حضورياً تحتاج، رغم ذلك، إلى إدارة ومتابعة ومستخدمين وتمويل وتجهيزات واتصال بالإنترنت.

عودة الطلاب لا تعني عودة الأساتذة

في الجانب التعليمي، كانت وزيرة التربية، ريما كرامي، تصرّ على نصاب يبلغ 20 حصة أسبوعياً، قبل الموافقة على 18 حصة مع أربعة أيام تعليم في الأسبوع. وفي اجتماع عقد قبل نحو شهر بين ممثّلين عن مديري الثانويات في محافظتي الجنوب والنبطية ومديرية التعليم الثانوي، عرض المديرون واقع الثانويات، مقسّمين إياها عملياً بين مؤسسات مدمّرة أو متضررة جزئياً وأخرى يمكنها، من حيث المبدأ، العودة إلى التعليم الحضوري.

لكن حتى في الثانويات القابلة للعودة، لا تكفي صلاحية المبنى، إذ إن هناك إقبال الطلاب، وعودة الأساتذة إلى ثانوياتهم، واحتمال انتقال بعضهم إلى مؤسسات أقرب إلى أماكن سكنهم. ففي مجدل سلم مثلاً، يرى المديرون أن العودة الحضورية ممكنة حتى مع تضرر مبنى الثانوية، عبر غرف جاهزة أو مساحة بديلة.

أمّا قرارات نقل الأساتذة التي صدرت أخيراً، فيقول المديرون إنها لم تُبنَ على دراسة كافية لحاجات كل ثانوية، ولم تتم استشارتهم بشأنها، علماً أن حاجات كل ثانوية جزء أساسي من أي قرار يتعلق بتوزيع الكادر التعليمي.

ما هي الثانويات المتعثّرة؟

يشعر عدد من المديرين بأن متابعة وزارة التربية للملف لم تصل بعد إلى مستوى تعقيده، وأن بعض التفاصيل لا تزال متروكة للاجتهاد. ويستشهد أحدهم باتصال تلقّاه من موظف في الوزارة للاستفسار عمّا إذا كانت ثانويته قد تضررت وما إذا كان سيذهب إليها، رغم أن المبنى مُدمّر منذ عام 2024. بالنسبة إليه، يعكس هذا المثال ضعفاً في التنسيق والمواكبة.

ولا يعني ذلك بالضرورة غياب العمل داخل الوزارة، لكنه يكشف، من وجهة نظر الإدارات، الحاجة إلى قناة متابعة أكثر انتظاماً، تعرف واقع كل ثانوية وطلابها وأساتذتها، بدلاً من إعادة جمع المعلومات نفسها في كل مرحلة.

ولا تتوقف الأسئلة التي ينتظر المديرون إجابات عنها عند آليات التسجيل والانتقال، إذ يبقى تعريف «الثانوية المتعثّرة» الوارد في خطة الوزارة بحاجة إلى توضيح. فهل المقصود تلك التي دُمّر مبناها أو أصبح غير صالح للتعليم؟ أم الثانوية التي تضم عدداً قليلاً من الطلاب؟ أم أن التصنيف يمكن أن يشمل الحالتين؟

فهناك ثانوية قد يكون مبناها سليماً، لكن الوصول إليها متعذّر بسبب موقعها والظروف الأمنية، وأخرى قد تكون متضررة ويمكن تأمين مبنى مؤقّت لها، فيما توجد ثانوية مدمّرة بالكامل ولا يمكنها استقبال الطلاب.

وبحسب المديرين، فإن تحديد معايير واضحة وموحّدة لتصنيف الثانويات سيحدّد بدوره المسار الذي سيسلكه كل منها، من التعليم الحضوري إلى التعليم عن بُعد أو الانتقال إلى مكان بديل، كما سيحدّد كيفية التعامل مع طلابها وهيئتها التعليمية والإدارية.

(هيومن رايتس ووتش)

تضرّر 340 مبنى

تشير أرقام رسمية إلى تضرّر 340 مبنى تربوياً بين رسمي وخاص، بينها 239 مبنى رسمياً، فيما دُمّر 20 مبنى رسمياً بالكامل وتعرّض 90 مبنى لأضرار شديدة أو متوسطة. كما طاولت الأضرار 35 معهداً ومدرسة مهنية رسمية وخاصة، بينها أربعة مبانٍ مُدمّرة بالكامل، فيما يواجه نحو 100 ألف طفل خطر عدم العودة إلى مقاعد الدراسة، وفق بيان اليونيسف الصادر في 2 تموز 2026.

وتقع غالبية المباني المُدمّرة بالكامل في القرى الأمامية، حيث تبدو العودة الحضورية متعذّرة في المدى القريب. لكن حتى المناطق الأكثر أماناً تواجه تحدّياتها: بعض المدارس والثانويات استُخدمت خلال الحرب مراكز لإيواء النازحين، وبعض الأهالي لم يعودوا بعد إلى قراهم بفعل الدمار أو استمرار الاحتلال أو عدم الاستقرار.

وهذا يعني أن عدد الطلاب المتوقّع في كل ثانوية لن يكون بالضرورة هو نفسه الذي كانت عليه الأعداد قبل الحرب، وأن صلاحية المبنى لا تكفي وحدها لتحديد قدرة المؤسسة على العودة إلى التعليم الحضوري.

كلمات متقاطعة 5155

أفقيا

1- من مؤلفات الشاعر اللبناني الراحل سعيد عقل – 2- خطوط وكتابات غير مفهومة – من الإليسة – 3- كتلة جبلية في شمال العراق قرب حدود إيران – سفن تجارية – 4- من الأسماء – إحدى البحيرات الخمس الكبرى بين كندا والولايات المتحدة – 5- للتاوه – تمام – من الأزهار – 6- إحدى القارات – إتقاد الشمس – 7- جهل الأمر ونفاه – عاصمة أفريقية – 8- أشعل – أتقدم من درجة الى درجة – 9- لعن وشتم – رطوبة – حب وعشق – 10- إحدى تلال روما – متشابهان

عمودياً

1- راهب فرنسي دعا الى الحملة الصليبية الأولى – 2- نعاتبه – دولة أميركية – 3- بعد ثامن – سهاد – 4- يفرح ويسعد به – إمارة عربية – 5- نغر – فنانة لبنانية – دقّ وفتّ وسحق – 6- من قمم جبل هملايا – 7- كلام والفاظ – متشابهان – 8- من الحيوانات – عائلة رسّام فرنسي راحل – 9- يُفزعه – حُقة لحفظ الدراهم – 10- من أرقى أحياء القاهرة وواجهتها العظيمة

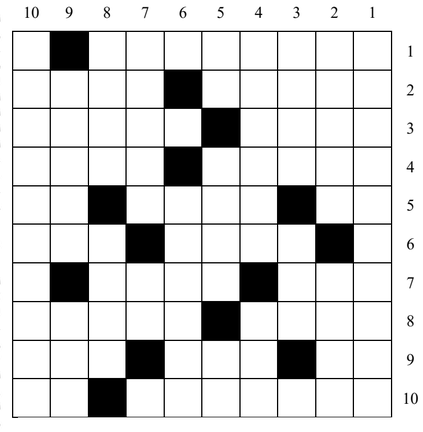

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- شرم الشيخ – 2- يم – رومارىو – 3- ڤيينا – لاين – 4- أشم – رق – سيّج – 5- يس – محا – 6- نلندا – جنين – 7- اب – آثار – نس – 8- دنانير – أه – 9- زاد – نمر – دم – 10- هنري الثامن

عمودياً

1- شيڤارنادزه – 2- رميش – لبنان – 3- يمين – أدر – 4- أرن – سدّان – 5- لوار – أثينا – 6- شم – قم – أرمل – 7- يال – حجر – رث – 8- خراسان – 9- ي ي ي – ينهدم – 10- لونجينس – من

sudoku 5155

	6	7			2		9	3
				6	9			
1			4				5	
			3		8		1	7
7		2		4	6	8		
		1		5				
2		4				3		
			2	3	1		8	
3		9				7		5

حلول الشبكة السابقة

4	5	7	8	9	2	3	6	1
6	9	8	1	4	3	7	2	5
2	1	3	6	5	7	8	4	9
1	6	4	7	8	9	5	3	2
3	8	2	5	1	4	9	7	6
9	7	5	2	3	6	1	8	4
8	3	6	9	2	5	4	1	7
5	2	1	4	7	8	6	9	3
7	4	9	3	6	1	2	5	8

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

كلمة السر 452

كلمة السر من 8 حروف: ماركة سيارات رياضية

ايسوزو – ام – بيجو – توج – جيب – جي – داسيا – دودج – روفر – رينو – ساب – فولكسفاغن – فوكسهول – فورد – فيات – كيا – كر – لادا – مرسيدس – مازدا – هوندا – همر

ف	د	ا	و	ز	و	س	ي	ا	م
ز	و	ر	ج	م	ر	س	ي	د	س
ك	ر	ل	و	ي	ا	د	ن	و	ه
ب	ا	س	ك	ف	ب	ل	ا	د	ا
ر	و	ف	ر	س	م	ا	ز	د	ا
ه	م	ر	ف	و	ف	ي	م	ت	ا
ي	ج	ي	ن	ر	ر	ا	ا	و	ي
ا	ا	ي	ك	ي	ا	ج	غ	ج	س
ت	ر	ت	ج	د	و	د	ي	ن	ا
ل	و	ه	س	ك	و	ف	ي	ب	د

حلول الشبكة السابقة: دراجة

عملية حسابية 452

شروط اللعبة: ضع الارقام المناسبة من 1 الى 99 في المربعات الفارغة للوصول الى حل العملية الحسابية

	٪		X	21	=	84
X	■	X	■	٪	■	
	X		+		=	22
٪	■	–	■	X	■	
8	X		٪		=	24
=	■	=	■	=		
12		34		6		

حلول الشبكة السابقة

19	X	3	٪	1	=	57
X	■	X	■	X	■	
4	X	3	X	8	=	96
٪	■	+	■	–	■	
2	X	12	٪	6	=	4
=	■	=	■	=		
38		21		2		

شبكة العنكبوت 452

إعداد نعوم مسعود

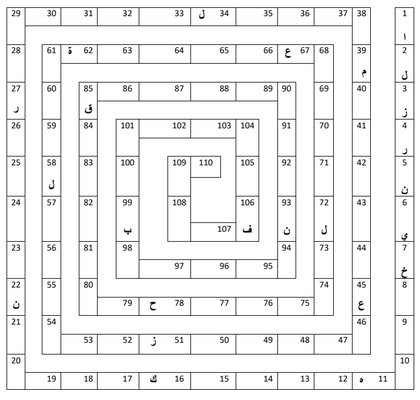

1 – 7 عنصر كيميائي سام
7 – 17 رئيس اوروغواني راحل وُصف بـ« افقر رئيس في العالم »
16 – 22 سلسلة فنادق عالمية شهيرة
20 – 27 رئيس وزراء انكليزي سابق
26 – 30 يشاهدكم
29 – 39 رياضة بناء العضلات وتطويرها عن طريق التضخم
38 – 45 اكبر نهر في المغرب
45 – 53 فنان لبناني من اغانيه « دخلك دخيلك »
52 – 58 مدينة قبرصية
58 – 72 اغنية للسيدة فيروز
72 – 80 صحيفة لبنانية محتجبة
79 – 85 شاعر عربي في الدولة الأموية
84 – 87 من اسماء الطحين
87 – 97 سلطان غمامي راحل
97 – 101 من اسماء الأسد
100 – 103 دولة اوروبية
103 – 106 مدينة سويسرية
106 – 110 نادرة الوجود ومميزة

حل شبكة العنكبوت السابقة

داليدا – دابلي تلغراف – افوكادو – ادوارد الثامن – منغلوط – طارق بن زياد – ادريس بن عبدالله – هاشم الرفاعي – عيمار – ماركو روبيو – يوسف غصوب – بوردو – دولار – أرواد – ادغار آلان بو – بولندا – داريا – ياسمين

شروط اللعبة

شبكة العنكبوت تتألف من 110 خانات مرقمّة وداخل بعض الخانات تتواجد أحرف تساهم في تسهيل الحل بعد الإجابة على الأسئلة الموجودة أسفل الشبكة. الشبكة تعمل مثل عقارب الساعة إبتداءً من الرقم 1 الى الرقم 110

مشاهير 5155

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

راقصة لبنانية. إشتهرت من خلال البرامج التلفزيونية. إتقنت فن الرقص بالعصا

5+7+11+4+10+1 = المذهل والمحيّر ■ 6+2+3 = حروف العلة ■ 8+9 = للتاوه

حل الشبكة الماضية: **جوليت بينوش**

على الغلاف

معركة القدرة على التحمّل

لا أوراق مضمونة في يد أميركا

حسين إبراهيم

مع تراجع تبادل الضربات بين الولايات المتحدة وإيران إلى حدّ التوقّف، تتركّز الحرب الآن في مضيق هرمز، وتتحوّل، في الفترة الحالية على الأقلّ، إلى اختبار لقدرة كلّ طرف على التحمّل. في هذا الإطار، تُظهر التصريحات الإسرائيلية الأخيرة عن وقف توسيع القتال على كلّ الجبهات، في لبنان وإيران وغزة، إلى ما بعد الانتخابات الإسرائيلية وانتخابات «الكونغرس» النصفية، ووجود قرار أميركي بتجميد الوضع كما هو، وذلك حتى لا تتفاقم الأزمة غير القابلة للحلّ راهناً، وتؤثّر على الانتخابات لدى الطرفين لغير مصلحة السلطة فيهما. ومن بعد تمرير هذَين الاستحقاقَين، وإذا فاز معسكرا دونالد ترامب وبنيامين نتنياهو في الانتخابات، أو الأوّل على الأقلّ، أمكن له عندها استخدام الفوز كتفويض للمضيّ في اتجاهِ ما في الحرب على إيران.

قبل أيام قليلة، قال ترامب، في تصريح، إن نفوذ اللوبي الإسرائيلي في الولايات المتحدة تراجع إلى حدّ يراه للمرة الأولى بهذا الشكل.

وهو بذلك يستحثّ اللوبي المذكور على رفع مستوى نشاطه، باعتبار الأخير الرهان الأوّل لـ«الجمهوريين» للاحتفاظ بالسيطرة على مجلسَي «الكونغرس». فخسارتهم المجلسَين أو أحدهما، ولا سيّما «الشيوخ»، ستعقّد مشاريع الرئيس في السنتَين المقبلتَين من ولايته، وقد تجبره على وقف الحرب على إيران، وتُقبّل فشله فيها، بما قد يؤثّر على مستقبل مشروعه السياسي والمالي ككلّ. وفق هذه التقييمات، لا يعود أمام ترامب سوى تخفيف الحرب إلى أدنى مستوى ممكن، وتركيزها في المضيق فقط، والاستمرار في فرض الحصار البحري على طهران للضغط عليها اقتصادياً، والأمل، من خلال تلك الإجراءات، في إقناعها بالموافقة على تسوية مقبولة بالنسبة إليه، وهو ما صرّحت به واشنطن علناً حين قالت إن الحصار مستمرّ ما دامت الحاجة ضرورية إليه.

في الأيام الماضية، اشتعل السجال الكلامي حول من يهيمن فعلياً على الحركة في المضيق، فيما كلٌّ من الطرفَين قال إنه هو مَن يفعل. لكن بغضّ النظر عن قدرة أحدهما على منع الآخر من استخدام «هرمز»، فإن العامل الأهمّ يبقى مَن يستطيع منع تدفّق النفط عبر الممرّ المائي، وبالتالي إبقاء أسعار هذه السلعة مرتفعة عالمياً - على نحو سيكون ضاغطاً على الولايات المتحدة أكثر ممّا سيفعل على إيران، وإن كانت الأخيرة متضرّرة أيضاً من الحصار البحري. وما دام ثبُت أن أحداً لا يستطيع فتح المضيق بالقوة، فإن الملامة في نظر الأميركيين، وباقي دول العالم، تقع على مَن فتح الحرب التي كان الممرّ قبلها مفتوحاً للعبور، بلا شروط وبلا رسوم؛ والطرف هذا هو من يتعيّن عليه، بالتالي، العثور على حلّ للمشكلة. حلّ يكمن ببساطة في وقف الحرب، والابتعاد عن محيط إيران، والتسليم بالنظام الجديد الذي تتحدّث عن فرضه في «هرمز». ذلك أن الحرب، مع كلّ كلّفتها، لم تحقّق أيّ هدف من أهدافها، بما فيها شعارها الأساسي، أي منع إيران من امتلاك سلاح نووي. وبالمناسبة، كان غائباً إلى حدّ بعيد، خلال الأيام الماضية، أيّ ذكر للقضية النووية في التصريحات الأميركية الكثيرة، التي تركّزت في معظمها على المضيق.

المعركة تنحصر في مضيق هرمز (من الويب)

> إيران، المُحاصرة، قد تلجأ إلى فرض رسوم على العبور في «هرمز» منذ الآن

إيران، المُحاصرة، قد تلجأ إلى فرض رسوم على العبور في «هرمز» منذ الآن

إيران، في المُحاضرة، قد تلجأ إلى فرض رسوم على العبور في «هرمز» منذ الآن، وهي ربّما بدأت تمهّد لهذا خطوة، حين سلّطت الضوء على الأضرار البيئية البالغة التي يسبّبها عبور السفن، وخاصة النفطية منها، في المضيق، ولا سيما إذا جنحت أو تعطّلت لسبب من الأسباب. وإذا حصل ذلك، فإنه سيكون ضربة لترامب، سواء أوْقف الحرب أم لم يوقفها. أمّا الولايات المتحدة، التي لا تملك بدائل كثيرة، فلجأت، في المقابل، إلى ورقة أخيرة لا تبدو بدورها قابلة للنجاح، وهي الزجّ بالسعودية في حرب جديدة في اليمن، في محاولة للضغط على إيران بأحد «أذرعها» - وفق ما يحبّ خصوم طهران أن يسمّوا حلفاءها -؛ وهو ضغط مستمرّ على كلّ الحلفاء في الواقع، من لبنان إلى العراق.

هكذا، تظهر أميركا شريكة في معركة اليمن، وإنّما من الخلف، كونها لا تستطيع العودة علناً إلى حرب خرجت منها خاسرة وبكلفة عالية، وليس في مقدورها، في الوقت نفسه، دفع المملكة إلى حرب مباشرة مع إيران. لكن حتى هذه المعركة لا تملك حظوظاً كثيرة في النجاح؛ فصنعاء نفسها تحوز ما يمكّنها من خوضها على الجبهتَين البرية والبحرية، وهي قادرة على الاحتمال كونها لا تملك خياراً آخر. في المقابل، فإن السعودية، التي اقرّت بنفسها بأن حصارها على اليمن لم يغدُ مبرّراً، وذلك حين وافقت على «خارطة الطريق» التي أعدّتها الأمم المتحدة قبل عامَين، وامتنعت عن تنفيذها بطلب أميركي، فتجرّب حظّها الآن في حرب أخرى، ليست بالاتّساع الذي كانت عليه حرب 2015، لكن ليس من المتوقّع أيضاً أن تأتي للرياض بنتيجة أفضل. يحدث هذا بينما تنخرط الولايات المتحدة في مسارات أخرى للضغط على إيران في لبنان والعراق.

هذه الحرب المتشعّبة إلى معارك كثيرة، سوف تنتهي بفوز أحد طرفيها النسبي بالنقاط، وسيكسبها مَن يمكنه التحمّل أكثر.

> يتقدّم البعد الاقتصادي للحرب على إيران في الحسابات الأميركية

تلويح بالحزمة «الأشد»

واشنطن تسعّر الحرب الاقتصادية

صعّدت واشنطن تهديداتها الاقتصادية ضدّ طهران، وذلك في موازاة استمرار التوتّر في مضيق هرمز وتعثّر الاتصالات الهادفة إلى تجديد وقف إطلاق النار والعودة إلى المفاوضات. وبأتي هذا التصعيد بعدما أوحى الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، في وقت سابق من الأسبوع الجاري، بأن إدارته ستعتمد الضغط الاقتصادي بدلاً من العمل العسكري.

وفي هذا الإطار، أعلن وزير الخزانة الأميركي، سكوت بيسنت، أن الإدارة تستعدّ للكشف، خلال الأسبوع المقبل، عن حزمة جديدة من التدابير ضدّ إيران، قال إنها ستكون «الأشدّ من نوعها في تاريخ العقوبات والعزلة الاقتصادية المفروضة على دولة». وأوضح بيسنت، في مقابلة تلفزيونية، أن واشنطن ستجمع بين فرض «عزلة اقتصادية شاملة ومواصلة الحصار في مضيق هرمز»، بما سيؤدّي، وفق قوله، إلى «منع حركة السلع والبضائع من الموانئ الإيرانية وإليها». وأضاف أن الإجراءات الجديدة ستتجاوز، من حيث نطاقها وشدّتها، جميع التدابير التي سبق أن اتُّخذت ضدّ إيران.

بالتوازي، رسم نائب الرئيس الأميركي، جي دي فانس، في مقابلة مع قناة «فوكس نيوز»، تصوّراً لنهاية الحرب يقوم على خروج الولايات المتحدة منها إلى موقع إقليمي داعم لحلفائها، وضمان عدم امتلاك إيران سلاحاً نووياً، وإعادة الاستقرار إلى أسعار النفط والغاز عبر تسوية الوضع في مضيق هرمز. ولم يكرّر فانس مواقفه السابقة بشأن ضرورة إعادة فتح المضيق وضمان عبور السفن منه مجاناً، فيما أوحت تصريحاته الجديدة بأن الإدارة باتت تمنح التداعيات الاقتصادية للحرب أولوية أكبر من الأهداف التي أعلنتها عند اندلاعها.

وحدّد خفض أسعار النفط والغاز للمستهلكين الأميركيين بوصفه الهدف الأول لواشنطن، قائلاً إن «الأولوية القصوى تتمثّل في إبقاء أسعار الطاقة منخفضة في مختلف أنحاء الولايات المتحدة»، فيما يتمثّل الهدف الثاني، بحسبه، في «الحؤول نهائياً دون حصول إيران على سلاح نووي».

وفي مضيق هرمز، تابعت إيران استهداف السفن وناقلات النفط التي تحاول عبور المضيق تحت إشراف القوات الأميركية. وفي هذا السياق، أعلنت «شركة بترول أبوظبي الوطنية» (أدنوك) تعرّض ناقلتَيْن تابعتَين لها لهجوم، مساء أول من أمس، في أثناء عبورهما «هرمز»، فيما حمّلت الإمارات، إيران، مسؤولية الاستهداف. ويعدّ هجوم الخميس، الثاني من نوعه الذي يطاول ناقلات تابعة للشركة، خلال أقلّ من أسبوع.

ميدانياً أيضاً، أفاد التلفزيون الإيراني بأن الدفاعات الجوية التابعة لـ«الحرس الثوري» رصدت وأسقطت مسيّرة من طراز «إم كيو-9» في محافظة هرمزغان، فيما كانت صحيفة «واشنطن بوست» تكشف، في تقرير حديث، أن الجيش الأميركي خسر ما لا يقلّ عن 45 طائرة مسيّرة من طراز «إم كيو-9 ريبر» منذ اندلاع الحرب مع إيران، أي ما يقارب ربع أسطوله من هذا الطراز. ونقلت الصحيفة عن ثلاثة مسؤولين أميركيين مطّلعين لم تسمّهم، أن «هذه المسيّرات استُخدمت بكثافة في العمليات الجارية حول مضيق هرمز، إلا أن بطء سرعتها وتحليقها في أحيان كثيرة، على ارتفاعات منخفضة جعلاها عرضة للاستهداف من القوات الإيرانية وحلفائها في اليمن والعراق». وبحسب الصحيفة، تراوح كلفة الطائرة الواحدة بين 30 و50 مليون دولار، ما يعني أن القيمة الإجمالية للخسائر من هذا النوع، تجاوزت 1,3 مليار دولار. وتُظهر بيانات الموازنة والسجلات العسكرية، بحسب الصحيفة، أن القوات الأميركية كانت تمتلك، قبل بدء الحرب، نحو 185 طائرة «ريبر»، بينها 165 تابعة لسلاح الجو و20 لسلاح مشاة البحرية، من دون احتساب تلك التي تشغّلها وكالات الاستخبارات الأميركية. وبذلك، تضاف خسائر «ريبر» إلى قائمة متزايدة من الأسلحة والذخائر الأميركية التي استنزفتها الحرب على إيران.

(الأخبار)

أفاد التلفزيون الإيراني بأن الدفاعات الجوية أسقطت مسيّرة من طراز «إم كيو-9» في محافظة هرمزغان (من الويب)

ترامب غير واثق من فوز نتنياهو

لم يمنح الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، بعد، رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، الدعم العلني الذي يأمله قبل الانتخابات المقرّرة في 27 تشرين الأول، وذلك رغم أن العلاقة الشخصية بينهما لا تزال قائمة، بحسب ما نقله موقع «أكسيوس» الأميركي عن مسؤولين أميركيين كبار. ووفق الموقع، يدرك ترامب ومستشاروه أن «الغالبية الساحقة من استطلاعات الرأي الحالية لا ترجّح فوز نتنياهو»، وهو ما يخالف ادّعاءات أحد مستشاري الأخير خلال لقاء الرجلَين في المكتب البيضاوي قبل أسبوعَين. وبحسب مسؤول أميركي كبير مطّلع على تفاصيل المحادثة، سأل ترامب، نتنياهو، عن وضعه في استطلاعات الرأي، فتردّد الأخير للحظة، قبل أن يتدخّل أحد مستشاريه قائلاً: «سيدي الرئيس، إنه سيفوز».

غير أن «أكسيوس» نقل عن مسؤولَين أميركيَّين كبيرَين أن ترامب «وإن كان يحبّ نتنياهو على المستوى الشخصي، يشعر بإحباط متزايد من قراراته وسياساته». وفي هذا السياق، ذكر الموقع، نقلاً عن شخصَين تحدّثا أخيراً مع الرئيس الأميركي بشأن رئيس الوزراء الإسرائيلي، أن ترامب قال إن «بيبي هو أكبر عدو لنفسه». وحتى الآن، امتنع ترامب عن إبداء تأييد علني صريح لنتنياهو، وذلك رغم أن الصحافيين سألوه أربع مرات خلال الأسابيع الأربعة الأخيرة عمّا إذا كان يدعمه. ومع هذا، لا يزال ممكناً، وفق «أكسيوس»، أن يغيّر ساكن البيت الأبيض موقفه، وإن كان هامش الوقت يضيق أمام «بيبي»، في ظلّ تبقّي 75 يوماً فقط قبل موعد الانتخابات.

(الأخبار)

الحرب تسرّع التدهور المالي

البحرين تخسر نصف احتياطاتها

سلّام محمد

قليلاً ما تأتي وسائل الإعلام على ذكر البحرين في سياق تناولها للخسائر الاقتصادية التي تسبّبت بها الحرب على إيران؛ وإذا ما حدث ذلك، فهو يتمّ بشكل موجز وسريع، إذ غالباً ما يُسلَّط الضوء على خسائر الدول الكبرى في المنطقة، سواءً من حيث نفوذها السياسي أو حجم اقتصاداتها ومدى تأثيرها على أسواق النفط والغاز العالمية، وهو ما ينطبق مثلاً على السعودية والإمارات وقطر. يحدث هذا على الرغم من أن البحرين تلقّت واحدة من أقسى الهجمات الإيرانية، التي استهدفت منذ الأيام الأولى للحرب منشآت عسكرية واستخباراتية أميركية، كان من ضمنها مقرّ الأسطول الخامس، فضلاً عن بعض منشآت الطاقة والصناعة الاستراتيجية، والتي تعتبرها طهران مصالح مباشرة لواشنطن بحكم الاستثمار فيها من قِبل شركات أميركية.

اقتصاد ما قبل الحرب

تمتلك البحرين اقتصاداً صغيراً بحكم مساحتها وموارِدها وعدد سكّانها، إلّا أن الحروب والنزاعات التي شهدتها بعض الدول العربية في سياق ما سُمّي «الربيع العربي»، جعلت المملكة تتجاوز في الترتيب دولاً عربية أخرى أكثر غنًى بالموارد والثروات، من مثل ليبيا والسودان، لتحتلّ بذلك المرتبة الثانية عشرة عربياً من حيث قيمة ناتجها المحلّي الإجمالي، البالغ نحو 47,5 مليار دولار. مع ذلك، وبحسب بيانات «صندوق النقد الدولي» للعام الماضي، فإن السنوات الفائتة شهدت تباطؤاً في نموّ الناتج المحلّي الإجمالي الحقيقي، وتراجعاً من نحو 6,2% في عام 2022 إلى 2,9% في عام 2025، وهو ما يُعزى إلى عاملَين أساسيَّيْن: أوّلهما، زيادة انكماش نموّ الناتج الهيدروكربوني من نحو -1,5% في عام 2022 إلى نحو -3,3% في عام 2024، مع توقّعات بتحقيق نموّ إيجابي محدود في عام 2025 لا يتجاوز 0,2%. وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال تراجع نسبة مساهمة الإيرادات الهيدروكربونية في إجمالي الإيرادات العامة، من نحو 62,5% في عام 2022 إلى نحو 54,1% في السنة الماضية. وأمّا العامل الثاني، فيتمثّل في حدوث تراجع في معدّل نموّ الناتج المحلّي الإجمالي غير الهيدروكربوني، من نحو 7,9% في عام 2022 إلى نحو 3,3% في العام الماضي. وفي المجمل، وبحسب تقرير قدّمه خبراء «النقد الدولي» مطلع العام الحالي، فإن الوضع المالي للبلاد استمرّ في التدهور في عام 2024، وإنه من المتوقّع أن يبقى كذلك في عام 2025. وتذهب التقديرات، في هذا الإطار، إلى ارتفاع نسبة العجز المالي من الناتج المحلّي الإجمالي من نحو 11% في عام 2024 إلى 11,5% في عام 2025. والحال نفسه ينسحب على نسبة ما يشكّله الدين الحكومي الإجمالي من الناتج، وهي نسبةٌ توقّع خبراء «الصندوق» ارتفاعها من نحو 134% في عام 2024 إلى نحو 145,1% في عام 2025. ورغم التوقّعات بارتفاع الأصول الرسمية الاحتياطية من نحو 4,6 مليارات دولار في عام 2024 إلى نحو 5,5 مليارات دولار في عام 2025، إلّا أنها لا تزال غير قادرة سوى على تمويل شهرَين تقريباً من الواردات غير الهيدروكربونية المحتملة من السلع والخدمات. ومن بين المؤشّرات الأخرى المهمّة أيضاً، ما يتعلّق بالحساب الجاري، الذي ظلّ يحقّق فائضاً رغم تراجعه منذ 2022، حيث شكّل ما نسبته 4,8% من الناتج في عام 2024، ويُتوقّع له أن يكون قد حقّق في السنة الفائتة نحو 3,8%.

بهذه الأوضاع الاقتصادية، دخلت البحرين على خطّ الحرب الأميركية - الإسرائيلية على إيران، وما أفضت إليه من تطوّرات عسكرية جعلت القواعد الأميركية والمنشآت الاقتصادية المستثمرة من قِبَل شركات أميركية، في دائرة الردّ الإيراني، فضلاً عن التبعات الاقتصادية الخطيرة لإغلاق مضيق هرمز.

حتى سباق «الفورمولا 1»

كما هو حال الكويت وقطر، فإن عدم امتلاك البحرين بدائل بحرية أو برية تمكّنها من تجاوز عقدة مضيق هرمز، تسبّب بتراجع شديد في مبادلاتها التجارية الخارجية، وهذا ما يمكن ملاحظته بوضوح في بيانات التجارة الخارجية للربع الأول، والصادرة عن «هيئة المعلومات والحكومة الإلكترونية» البحرينية؛ إذ تراجعت قيمة هذه التجارة بنحو 14,5% مقارنة بالربع الأول من العام الماضي، فيما انخفضت صادرات البلاد غير النفطية بنحو 10%، ونزلت قيمة الواردات غير النفطية بنسبة 17% مقارنة بالفترة نفسها من السنة الفائتة. ووفقاً لمجريات الحرب خلال الربعَين الثاني والثالث من عام 2026، فإن نسبة تأثّر التجارة الخارجية باتت كبيرة وضاغطة على الوضع الاقتصادي للبلاد، سواء بفعل توقّف حركة الملاحة عبر مضيق هرمز بشكل شبه كامل، أو نتيجة الضرر الذي لحق بمنشآت الطاقة والصناعة البحرينية، بدءاً من مصفاة «بابكو» للتكرير، مروراً بأهمّ منشأة لصناعة الألمنيوم، وليس انتهاءً ببعض محطّات تحلية المياه وغيرها من المنشآت الإنتاجية والخدمية.

أدّى ذلك إلى تسجيل خسائر على مستويات متعدّدة، أبرزها: الإنتاج والتصدير، إصلاح المنشآت المتضرّرة، تكاليف التأمين والشحن، انخفاض الإيرادات الحكومية، ارتفاع العجز الحكومي، والاضطرار إلى بدائل لتأمين احتياجات البلاد من المستوردات أو تصدير بعض المُنتجات. فعلى سبيل المثال، أشار «البنك الدولي»، في تقرير سابق، إلى أن الهجوم على مصفاة سترة في آذار/ مارس أجهض الرهان على زيادة إنتاج النفط، وخفّض التوقّعات لنمو الاقتصاد البحريني - في أثناء صدور التقرير - إلى نحو 1,3%. في العام الحالي، إلّا أن بعض التقييمات الدولية تحدّثت أخيراً عن حدوث انكماش في الناتج المحلّي الإجمالي، تصل نسبته إلى نحو 5%، وعن تراجع الاحتياطيات الرسمية إلى نحو 3 مليارات دولار، وذلك بعدما كانت تقديرات «النقد الدولي» تتحدّث عن 6,5 مليارات دولار لهذا العام.

> عدم امتلاك البحرين بدائل بحرية أو برية تسبّب بتراجع شديد في مبادلاتها التجارية الخارجية

وفي انتظار إعلان البحرين تقديراتها لقيمة الخسائر الاقتصادية المباشرة أو غير المباشرة التي لحقت بها، فإن خسائر بعض القطاعات والأنشطة الاقتصادية جاءت سريعة ومباشرة، وهو ما ينطبق أولاً على قطاع السياحة والسفر. فالبلاد التي كانت تستقبل سنوياً ما يقرب من 15 مليون سائح، وجدت نفسها، قبل تموز/ يوليو الماضي، تخسر جزءاً رئيسياً من موسمها السياحي، في وقت أُلغي فيه سباق «الفورمولا 1» الذي كان يقام في نيسان/ أبريل سنوياً، الأمر الذي ترتّبت عليه خسارة إنفاق ما يزيد على 105 آلاف متفرّج، جزء ليس بالقليل منهم يأتون من الخارج، ويُعرفون بمتوسّط إنفاق مرتفع.

وقف التدهور فقط

كانت البحرين تتلمّس، في العام الحالي، تحقيق بعض التحسّن في مؤشّراتها الاقتصادية، وصولاً إلى طموحها الرئيسي، المتمثّل في رفع نسبة اقتصادها غير الهيدروكربوني إلى نحو 90% من إجمالي اقتصادها الوطني عام 2030، إلّا أن الحرب التي شنّتها الولايات المتحدة وإسرائيل على إيران، أضاعت الآمال البحرينية، وجعلت من طموح المملكة اليوم، منحصراً في وقف التدهور الحاصل في مؤشّراتها المالية والتجارية فقط. على أنه حتى هذا الطموح لن يتحقّق ما دامت فكرة العودة إلى الحرب تبدو قائمة في أذهان المسؤولين الأميركيين وإسرائيليين، وما دام مضيق هرمز مُغلقاً أو حركة الملاحة عبره غير آمنة.

صنعاء تستهدف «أرامكو نجران»

صنعاء - **الأخبار**

أعلنت قوات صنعاء، مساء أمس، تنفيذها هجوماً جوياً استهدف منشأة لشركة «أرامكو» في نجران، جنوبي السعودية. وأكّد مصدر عسكري في العاصمة، لوكالة «سبأ» الرسمية، أن القوات المسلحة اليمنية تمكّنت من استهداف «أرامكو نجران» بطائرة مُسيّرة، مضيفاً أن «العملية حقّقت هدفها بنجاح». ووفق المصدر، فإن «هذا الاستهداف يأتي ردّاً على انتهاك الطيران الحربي السعودي سيادة بلدنا واختراقه الأجواء الشمالية الشرقية لمحافظة صعدة». وكانت استهدفت قوات صنعاء، أول من أمس، مصافي جيزان، بعملية مماثلة، جاءت أيضاً رداً على اختراق السعودية الأجواء اليمنية.

العراق

خطوات حكومية استرضائية للسعودية
المقاومة تحذّر من «الرسائل الخاطئة»

بغداد - **فقار فاضل**

بدت زيارة الوفد الأمني العراقي إلى الرياض، بعد العدوان السعودي - الأميركي الذي طاول مقارّ لـ«الحشد الشعبي»، بمثابة محاولة من بغداد لإعادة ضبط مسار العلاقات مع المملكة في اتّجاه يرضي واشنطن، وذلك بمعزل عن موقف المقاومة العراقية التي انتقدت خطوة الحكومة، وجدّدت التعهّد بالردّ على العدوان. وضمّ الوفد الذي زار السعودية، مدير مكتب القائد العام للقوات المسلحة، الفريق أول الركن، عبد الأمير الشمري، ورئيس جهاز المخابرات، حميد الشطري، وقائد الدفاع الجوي، الفريق مهند الأسدي، ورئيس جهاز مكافحة الإرهاب، الفريق الركن زيد حوشي، في تركيبة عكست طبيعة الملفّات التي يُفترض أنها وُضعت على الطاولة، وعلى رأسها أمن الحدود، والمعلومات الاستخبارية، وحماية الأجواء.

وتأتي هذه الزيارة بعد أسابيع من التصعيد الذي بدأ بإعلان السعودية اعتراض طائرات مُسيّرة قالت إنها انطلقت من الأراضي العراقية، واستهدفت منشآت في المنطقة الشرقية والرياض. وأعقب ذلك تنفيذ الولايات المتحدة والسعودية عدواناً مشتركاً داخل العراق في 29 تموز الماضي، أسفر عن استشهاد أكثر من 20 من عناصر «الحشد»، وإصابة 32 آخرين، وفتح الباب أمام تهديدات من جانب المقاومة بالردّ، كما أدّى إلى تأجيل زيارة رئيس الوزراء، علي الزيدي، إلى المملكة.

وفي ضوء ذلك، تسعى حكومة الزيدي، الآن، إلى طمأنة السعودية بأن الأراضي العراقية لن تكون منصّة لتهديد المملكة، وفي الوقت نفسه منع تثبيت معادلة تسمح لدول أخرى باستهداف العراق بذريعة حماية أمنها. وتقول مصادر حكومية إن الوفد الأمني عرض الإجراءات التي اتّخذتها بغداد لمنع تكرار الهجمات الأخيرة، إلى جانب بحث آليات تبادل المعلومات والتنسيق الأمني، فيما طرح الجانب السعودي مخاوفه بشأن الفصائل وقدرتها على تنفيذ هجمات عبر الحدود.

ويأتي ذلك فيما يستمرّ الجدل حول ملف حصر السلاح، الذي يعدّه الزيدي «جزءاً من مشروع بناء الدولة»، ويربطه بانتهاء مهمة «التحالف الدولي» في 30 أيلول المقبل، معتبراً أن الأول من تشرين الأول سيمثّل بداية مرحلة يكون فيها العراق مسؤولاً بصورة كاملة عن أمنه. لكن في المقابل، ترى قوى المقاومة أن الحديث عن نزع السلاح لا يمكن فصله عن ملف الوجود العسكري الأجنبي، وعن قدرة الدولة نفسها على حماية الأراضي العراقية من الضربات الخارجية.

وفي هذا الإطار، يقول النائب أحمد الموسوي، لـ«الأخبار»، إن البرلمان يدعم توجّه الحكومة نحو «حصر السلاح وفرض القانون»، كما يدعم تحرّكاتها لتطوير علاقات العراق مع مختلف الدول، لكنه يشدّد على أن «السيادة وحماية الأراضي العراقية يجب أن تكونا أولوية قصوى». ويعتبر أن «القصف الذي تعرّضت له مقار الحشد الشعبي أخيراً يمثّل مؤشراً خطيراً»، داعياً إلى مناقشة الهجمات التي يتعرّض لها العراق من دول الجوار، بالتوازي مع بحث الهجمات المنطلقة منه. ويرى أن ملف السلاح ينبغي أن يبقى «شأناً عراقياً خالصاً»، وألّا يخضع لمؤثّرات خارجية، وأن تكون الدبلوماسية أداة لحماية المصلحة الوطنية.

لكن بالنسبة إلى بغداد، فالمطلوب الآن إقناع الرياض بأن الدولة قادرة على ضبط حدودها، من دون أن يتحوّل ذلك إلى إقرار بحقّ أيّ طرف خارجي في معالجة التهديدات داخل العراق عسكرياً. أمّا بالنسبة إلى الفصائل، فإن أيّ تنازل في هذا الاتجاه قد يُعدّ استجابة لضغط خارجي، خصوصاً بعد الضربات الأخيرة. ويقول قيادي في حركة «النجباء»، تحدّث إلى «الأخبار»، من دون الكشف عن اسمه، إن موقف الحركة من السعودية «واضح»، رافضاً فكرة إرسال وفود دبلوماسية إليها، ومطالباً المملكة بتقديم إثباتات على أن المُسيّرات التي اعترضتها انطلقت من العراق. كما يؤكّد أن «الردّ على السعودية يجب أن يكون حاسماً».

أمّا الباحث السياسي، محمد الهاشم، فيرى أن زيارة الوفد العراقي تمثّل «انعطافة كبرى» في العلاقات العراقية - السعودية، خصوصاً مع خشية بغداد من تكرار الهجمات التي قد تعيد خلط المشهد الأمني. ويشير إلى أن حكومة الزيدي تتعامل ببراغماتية مع محيطها، وذلك في ظلّ حاجة العراق إلى مشاريع الطاقة والاستثمارات السعودية. وإلى أبعد من ما تقدّم يذهب الهاشم، متوقّعاً انطلاق تحرّك عربي يبدأ من بغداد والرياض، ويستهدف تخفيف التصعيد وفتح قنوات بين طهران وواشنطن، بما قد يساعد في إعادة فتح مضيق هرمز وعودة النشاط الطبيعي إلى المنطقة. وتبرز، في هذا الإطار، اتصالات أمنية متقدّمة بين بغداد والرياض، شملت لقاءات مع مسؤولين سعوديين ومشاركة أميركية في بعض النقاشات المتعلّقة بالفصائل. كما طرحت السعودية، بحسب مصادر دبلوماسية عراقية، إمكانية إعادة بعثتها الدبلوماسية إلى بغداد خلال 3 أشهر أو أقلّ، شرط الحصول على ضمانات أمنية.

> **مطالبات نيابية بمناقشة الهجمات التي يتعرّض لها العراق من دول الجوار**

لكنّ الخبير الأمني، محسن الكناني، يعتقد أن «المشكلة لا تقتصر على الهجمات التي تقول الرياض إنها انطلقت من الأراضي العراقية، بل تشمل أيضاً الضربات التي طاولت مقارّ عراقية»، محذّراً من أن استمرار هذا المسار يهدّد أمن العراق واستقراره. ويؤكّد أن «بغداد لا تسمح باستخدام أراضيها للاعتداء على دول الجوار، لكنها في المقابل لا تقبل أن تتحوّل الأراضي العراقية إلى ساحة لضرب الفصائل أو المؤسسات العراقية»، داعياً إلى «اعتماد الحوار وتبادل المعلومات بديلاً من الضربات العسكرية»، مشدّداً على أن «أيّ تفاهم أمني مع الرياض يجب أن يحمي السيادة العراقية ويؤسّس لمعادلة واضحة تمنع الهجمات من العراق، كما تمنع الاعتداء عليه من الخارج».

الوفد الأمني العراقي لدى وصوله إلى الرياض (صفحة الويب)

السعودية

أوامر «لزوم ما لا يلزم»: ابن سلمان يكرّس تفرّده بالسلطة

سناء أحمد إبراهيم

بعد مرور نحو أربعة أعوام على إصدار الملك السعودي، سلمان بن عبد العزيز، أمراً ملكياً، منح بموجبه نجله محمد «الحق» في ترؤس مجلس الوزراء، صدرت، أول من أمس، ثلاثة أوامر ملكية حديثة، أولاها يقضي بإعادة تشكيل مجلس الوزراء بأعضائه الحاليين، مع تأكيد رئاسة ابن سلمان للمجلس وتكليفه باختيار أعضائه. ورغم أن هذا التكليف ليس وليد اللحظة، كون ولي العهد يتولّى ذلك المنصب فعلاً منذ 27 أيلول 2022 -بموجب استثناء من المادة 56 من النظام الأساسي للحكم ومن الأحكام ذات الصلة الواردة في نظام مجلس الوزراء-، إلا أنه يأتي هذه المرّة في سياق إقليمي مضطرب، يجعل السلطات في الممالك والإمارات الخليجية أكثر حرصاً على ترتيب أوضاعها وتحصينها.

أمّا الأمر الآخر فشمل تعيين مازن بن تركي بن عبدالله السديري في منصب رئيس «مجلس هيئة السوق المالية» بمرتبة وزير، وذلك بعد إعفاء محمد بن عبد الله القويز من هذا المنصب، في حين نصّ الأمر الثالث على إعفاء بندر الخريف من رئاسة «مجلس إدارة هيئة المحتوى المحلي والمشتريات الحكومية»، وتكليف عبد العزيز بن سلمان بالمنصب، في خطوة من شأنها تعزيز مسار سيطرة أبناء الملك سلمان تحديداً، على مفاصل الدولة.

وفي تعليقه على تلك الأوامر، يوضح القيادي في «القاء المعارضة في الجزيرة العربية»، فؤاد إبراهيم، في حديث إلى «الأخبار»، أن قرار تولّي محمد بن سلمان رئاسة مجلس الوزراء يعود في الأصل إلى عام 2022. ويبيّن أن الفصل بين منصبَي الملك ورئيس الوزراء ليس سابقة في تاريخ المملكة السعودية، إذ جرى (الأمر نفسه) «في أواخر حياة عبد العزيز (تشرين الأول 1953)، حين عيّن ابنه سعود رئيساً للوزراء». ويشير إبراهيم إلى أن هذا الفصل «تثبّت في عهد الملك سعود (1954-1964)»، قبل أن يُعاد الجمع بين المنصبَين في عهد الملك فيصل، الذي أضاف إليهما وزارة الخارجية. واستمرّ الجمع في عهود خالد وفهد وعبد الله، وكذلك خلال السنوات الثماني الأولى من عهد سلمان. وهنا، يقدّر إبراهيم، في ضوء سيرة ابن سلمان، أن الأخير «سوف يعيد جمع المنصبَين، إلى مناصب أخرى في يده حالياً، في حال تسلّمه السلطة بعد والده سلمان».

> **ثمة تقديرات بأن ابن سلمان سيعيد الجمع بين منصبَي الملك ورئيس الوزراء**

ومنذ عام 2022، يتولّى ابن سلمان رئاسة مجلس الوزراء إلى جانب منصبه ولياً للعهد، فضلاً عن قيادته برنامج التحول الاقتصادي والتنويع المرتبط بـ«رؤية السعودية 2030»، التي تخلّى عن كثير من مشاريعها نتيجة الأزمة المالية المرتبطة بتداعيات الحرب على إيران. ويأتي تجديد تسليط الضوء على تلك المسؤوليات، بموجب أوامر ملكية، في ظلّ توجّه المملكة إلى إعلان تحالفات إقليمية جديدة، آخرها «التحالف البحري المتعدّد الجنسيات» الذي استضافت اجتماعه الثالث، و«حلف مكة للدفاع المشترك» الذي أعلنته مع تركيا وباكستان ودعت مصر إلى الانضمام فيه، وذلك بعد ثبوت عدم نجاعة المظلّة الأميركية في تأمين الحماية للمملكة.

وإلى جانب البعد الخارجي لإعادة التذكير بالأمر الملكي والتسويق له بوصفه أمراً مستحدثاً -رغم بقاء أعضاء المجلس الحاليين، والذي يجعل الخطوة أقرب إلى تثبيت هيكل الحكم التنفيذي القائم، منها إلى إعادة توزيع للسلطة-، يبرز بعد آخر متّصل بهدف شخصي يعمل عليه ابن سلمان منذ سنوات، مرتبط بمحاولته تجاوز تبعات سجله الحقوقي. إذ يبدو، بالنسبة إلى الباحث فؤاد إبراهيم، أن ابن سلمان يحاول، عبر القرارات وتعدّد المناصب، البحث عن «طوق نجاة» من الملاحقات القانونية في الخارج، لا سيما في ظلّ استمرار الدعاوى القضائية المدنية المرفوعة ضدّه في الولايات المتحدة وفرنسا، والمرتبطة بانتهاكات وجرائم، على رأسها قتل الصحافي جمال خاشقجي (2018) في القنصلية السعودية في إسطنبول. وكانت تبعات هذه الجريمة جعلت ابن سلمان حبيس قيود أمنية وترتيبات خاصة في تحركاته، وتسبّبت في اعتذاره، خلال حزيران الماضي، عن المشاركة في «قمة السبع» في فرنسا.

هكذا، يسعى ولي العهد إلى تعزيز حصانته، بالتوازي مع إحكام سيطرته على مفاصل الحكم. وهو مسار كان بدأه منذ تولّيه ولاية العهد، وذلك عبر حملة استهداف لخصومه داخل صفوف عائلة آل سعود، بلغت ذروتها في ما عُرف بحادثة «الريتز كارلتون» عام 2017، حينما احتجز عدداً من الأمراء ورجال الأعمال، وصادر أموالاً منهم تحت شعار مكافحة الفساد. وبنتيجة تلك الحملة، تمّ تركيز السلطة في يد ابن سلمان، وتكريس نمط أكثر فردية، بما دفع المملكة تدريجياً من صيغة حكم تستند إلى عائلة آل سعود إلى ما يمكن وصفه بـ«الدولة السلمانية» (نسبة إلى سلمان)، حيث تتركّز مفاصل السلطة بصورة متزايدة في فرع واحد من العائلة.

تم دفع المملكة تدريجيا من صيغة حكم تستند إلى عائلة آل سعود إلى ما يمكن وصفه بـ«الدولة السلمانية» (أ ف ب)

تقرير

مصر تترقّب زيارة كوشنر
رهان على «الوضوح» الأميركي في غزة

القاهرة - **الأخبار**

تترقّب مصر الزيارة المرتقبة للمبعوث الأميركي، جاريد كوشنر، إليها وإلى إسرائيل الأسبوع المقبل، والتي تأتي في ظلّ تعثّر تنفيذ «المرحلة الثانية» من اتّفاق وقف إطلاق النار في قطاع غزة، وتصاعد الاعتداءات في الضفة الغربية. وبحسب مصادر أميركية مطّلعة، فإن إدارة دونالد ترامب تقدّر أن الحسابات السياسية والانتخابية الإسرائيلية «لا يمكن أن تشكّل غطاءً لتعطيل الخطّة التي التزمت الولايات المتحدة بالمضيّ في تطبيقها»، وأن التحدّي القائم بات يتمثّل في «إيجاد صيغة تتيح ترجمتها على الأرض، بدلاً من إعادة فتح النقاش حول مبدأ تنفيذها».

وبحسب المصادر التي تحدّثت إلى «الأخبار»، فإن الإدارة الأميركية تمنّعت في البدء عن كبح الإجراءات الإسرائيلية التصعيدية، وذلك في ضوء إدراكها حساسات رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو السياسية مع اقتراب الانتخابات، وعدم رغبتها في دفعه إلى خطوات «متطرّفة» قد تؤدي إلى تعقيد المشهد الداخلي. لكن هذا الموقف «بدأ يتغيّر» حالياً، مع إصرار الجانب الإسرائيلي على عدم الالتزام بالخطة التي أعلنها «مجلس السلام».

وتشير المصادر نفسها إلى أن الولايات المتحدة قطعت ما تسمّيه «التزامات واضحة»، وأنها «ليست في وارد التراجع عنها أو القبول بتجميدها إلى ما بعد الانتخابات الإسرائيلية وتشكيل الحكومة المقبلة». ومن وجهة نظر القاهرة أيضاً، فإن واشنطن «ستواصل البحث عن الأطراف والشخصيات القادرة على دعم هذا المسار، حتى إذا اقتضى الأمر التواصل مع شخصيات سياسية منافسة لنتنياهو، لا سيما في ظلّ حصولها على الموافقات اللازمة من فصائل المقاومة».

وعليه، تحمل زيارة كوشنر، وفق المصادر، رسالة مفادها بأن الإدارة الأميركية «تريد الانتقال من مرحلة إدارة الخلافات إلى البحث عن حلول عملية وحاسمة»، مع إدراكها أن ذلك يستوجب «معالجة المخاوف الإسرائيلية، من دون السماح بتحويلها إلى ذريعة لتعطيل الخطّة أو تأجيل تنفيذها إلى أجل غير معلوم». أمّا في القاهرة، فيُتوقّع أن يلتقي كوشنر ممثّلين عن الوسطاء المصريين والأتراك والقطريين، وذلك في محاولة لـ«تقريب وجهات النظر والدفع نحو استكمال تنفيذ التفاهمات».

بالتوازي، يكثّف الوسطاء الثلاثة «تحركاتهم سعياً إلى حلحلة العقد القائمة». ويتركّز التحرك المصري - القطري - التركي، وفقاً للمصادر، على «بلورة ترتيبات قابلة للتنفيذ تتيح الانتقال إلى المرحلة التالية من الخطّة، بالتوازي مع معالجة الملفات العالقة، وفي مقدّمها نزع سلاح المقاومة والانسحاب الإسرائيلي وترتيبات الإدارة والأمن في القطاع». وفي اتصالاتهم مع الأطراف المعنيّة، يؤكد الوسطاء أن «الوضع الحالي في قطاع غزة لا يمكن أن يستمرّ لأشهر أخرى على حاله»، وأن «استمرار الجمود، بالتوازي مع التوتر الميداني والضغوط الإنسانية، يفاقم المخاطر». كما حذّرت القاهرة، في اتصالاتها، من أن تطورات الضفة الغربية باتت تمثّل «مصدر قلق متزايد، في ظلّ تصاعد اعتداءات المستوطنين واتّساع نُطاق التوتر»، معتبرة أن استمرار هذا الوضع قد يقود إلى «موجة جديدة من العنف يصعب احتواؤها، ولا سيما إذا تزامنت مع تواصل التعثّر في غزة».

تحمل زيارة كوشنر رسالة مفادها «انتقال الإدارة الأميركية من مرحلة إدارة الخلافات إلى البحث عن حلول عملية» (من الويب)

مصر

اقتلاع السكان لمصلحة المستثمرين
«علم الروم» تلحق بـ«رأس الحكمة»

القاهرة - **الأخبار**

تحوّل الساحل الشمالي المصري إلى واحد من أبرز الأصول التي تستند إليها الحكومة لجذب تدفّقات دولارية سريعة بمليارات الدولارات، في وقت لا تزال فيه ضغوط الدين الخارجي قائمة، وإن بدأت حدّة أزمة السيولة الأجنبية تخفّ تدريجياً مقارنةً بما كانت عليه قبل عامَين. وبعد صفقة «رأس الحكمة» مع الإمارات، جاءت صفقة «علم الروم» مع قطر لتكرّس مساراً يقوم على بيع الأراضي الساحلية لحساب مستثمرين خليجيين، وهو ما بات جزءاً من طريقة إدارة الحكومة للأزمة الاقتصادية، حتى لو كان ثمن ذلك إخلاء سكّان عاشوا على الأرض لعقود.

ويعدّ مشروع «علم الروم»، الذي تتولّاه شركة «الديار القطرية»، واحداً من أكبر الصفقات الاستثمارية العقارية التي شهدتها مصر بعد «رأس الحكمة»؛ إذ تبلغ القيمة المعلنة نحو 29,7 مليار دولار، ويقام على مساحة تتجاوز 20,5 مليون متر مربع، فيما يتضمّن الاتفاق المتّصل به مكوّناً نقدياً مباشراً بقيمة 3,5 مليارات دولار -تسلّمته مصر بالفعل-. إلى جانب مقابل عيني وحصة للدولة من صافي الأرباح.

وفي حين تدافع الحكومة بأن من شأن «علم الروم» تطوير منطقة واسعة من الساحل، وخلق فرص عمل، وزيادة النشاط السياحي والعقاري، وتوفير موارد مالية مباشرة ومستقبلية للدولة، تعود إلى الواجهة مجدّداً الإشكالية المتّصلة بالكلفة الاجتماعية لهكذا مشاريع.

ففي منطقتَي «سملا» و«علم الروم»، تنتشر مئات المنازل ومزارع الزيتون، وتعيش عائلات ارتبط وجودها بالمكان منذ عقود، في حين تبدو اليوم مهدَّدة بإخلائها في مناطقها، في مقابل وعود بتعويضها وتأمين بدائل سكنية لها مزوَّدة بخدمات، وذلك وفق جدول زمني يحتاج المستثمر إلى الالتزام به. والمعادلة هذه، سبق أن ظهرت بوضوح لدى البدء بمشروع «رأس الحكمة»؛ فقبل انتقال المشروع الذكور إلى مرحلة التنفيذ، دخلت الحكومة في مفاوضات طويلة مع السكّان حول الإخلاء والتعويضات. وفي أيلول 2024، التقى نائب رئيس الوزراء، كامل الوزير، عدداً من الأهالي الذين رفضوا إخلاء منازلهم، معترضين على قيمة التعويضات، ومحتجّين بصعوبة شراء أراضٍ أو مساكن بديلة بالمبالغ المعروضة عليهم، فيما كانت عمليات تجهيز أجزاء من أرض المشروع قد بدأت أساساً قبل حسم كلّ الاعتراضات. ومع ذلك، لم ينتهِ ملف التعويضات سريعاً وفق ما حاول الخطاب الرسمي الإيحاء به؛ ففي تموز 2026، وبعد أكثر من عامَين على الإعلان عن صفقة «رأس الحكمة»، ظلّ رئيس الوزراء، مصطفى مدبولي، يعقد اجتماعات لمتابعة صرف تعويضات المستحقّين وتسليم المساحات إلى الشركة المطوّرة.

أمّا اليوم، تعود المعضلة نفسها في «علم الروم»: فالدولة مطالبة بتسليم الأرض لتبدأ الشركة في التنفيذ، فيما يجد السكان أنفسهم أمام مفاوضات لا تتعلّق بقيمة منازلهم وأراضيهم فحسب، وإنما بفقدان نمط حياتهم بالانتقال إلى وحدات سكنية بعيدة عن مصدر رزقهم، وخسارة مزارع زيتون ومصادر دخل وشبكات عائلية واجتماعية نشأت حولها على مدى سنوات طويلة، وممّا يزيد الوضع سوءاً، أن السلطات المصرية التي فاوضت المستثمرين القطريين على قيمة مشروع بعشرات المليارات، تقوم، في الوقت نفسه، بتحديد سعر الفدان وسعر متر المنزل، وحتى سعر شجرة الزيتون طبقاً لقواعد حكومية ثابتة، تُظهر، وفق شهادات السكان، فارقاً كبيراً بين القيمة الحقيقية لممتلكاتهم وبين التعويضات التي عُرضت عليهم.

في هذا السياق، يقول بعض أهالي المنطقة، في حديثهم إلى «الأخبار»، إن التعويض عن الفدان الزراعي استقرّ عند نحو 300 ألف جنيه (أقلّ من 6 آلاف دولار)، فيما يقدّر بعضهم القيمة السوقية للفدان بنحو مليوني جنيه، بالإضافة إلى نحو ألف جنيه عن شجرة الزيتون. أمّا بالنسبة إلى المباني، فيقول السكان إن قيمة التعويض وصلت إلى خمسة آلاف جنيه للمتر، بعدما كان الحديث في بداية المفاوضات، يدور حول مبلغ يتراوح بين 15 و20 ألف جنيه. ونجم عن ذلك انهيار ثقة المواطنين في عملية التفاوض برمّتها، في وقت لا تتوافر فيه، حتى الآن، قائمة حكومية منشورة بالتفصيل تتيح مقارنة أسعار التعويضات المعتمدة والعروض الأولية.

> **ارتفعت أسعار الأراضي والمنازل في القرى المحيطة بعد الإعلان عن مشروع «علم الروم»**

على أن احتجاجات الأهالي لا تقتصر على ما تُقدّم، بل تمتدّ إلى ما يمكنهم فعله بالمبالغ التي سيحصلون عليها بعد خروجهم من أراضيهم. ذلك أن الأسعار في السوق العقارية سرعان ما ارتفعت، تزامناً مع دخول الاستثمارات الجديدة إلى المنطقة. ووفق روايات السكان، ازدادت أسعار الأراضي والمنازل في القرى المحيطة -ومن بينها «الغابة الشجرية» التي تقع على بعد نحو خمسة كيلومترات من «علم الروم»- فور الإعلان عن المشروع (من دون أن تتوافر بيانات مستقلّة تسمح بقياس حجم الارتفاع بدقة). ويجعل هذا الواقع حصول الأهالي على بدائل مماثلة لمساكنهم الأصلية أكثر صعوبة، في وقت يجبَرون فيه على التخلّي عن حياة كاملة أنفقوا عمرهم في بنائها.

التعويض عن الفدان الزراعي استقرّ عند نحو 300 ألف جنيه (من الويب)

عدوان شامل... ومشروع تحرّري كذلك!

سعد الله مزرعاني *

منذ انهيار الاتحاد السوفياتي أطلقت واشنطن القطبية الواحدة أداة للسيطرة، بالقوة المباشرة وغير المباشرة، في كل الاتجاهات والأماكن، وبكل الوسائل: بما فيها العنف والحصار والتآمر والغزو والاحتلال والإبادة وتعطيل الشرعية الدولية والحلول مكانها!

الشرق الأوسط كان الحلقة الثانية بعد «هضم» مفاعيل انهيار الاتحاد السوفياتي ومنظومته في أوروبا الشرقية وآسيا الوسطى. تجسّد ذلك في مسلسل من الاعتداءات. بدأ أولها في غزو واحتلال أفغانستان والعراق. ويتواصل آخرها في إيران التي ما زالت الحرب عليها مفتوحة بعد عدوانين عسكريين في أقل من ستة أشهر: استهدفا إسقاط نظامها وإخضاعها والاستيلاء على ثرواتها.

حرب الشرق الأوسط، التي دخلت منتصف عقدها الثالث، حقّقت، لواشنطن وأداتها تل أبيب، الكثير من النجاحات: سياسياً واقتصادياً وأمنياً. استراتيجية الهيمنة هجومية، مُعلنة رسمياً، جرى عبرها، تباعاً، استهداف كل القوى التي رفعت شعار التغيير وحاولت الخروج على الطوق الاستعماري في السياسة والتنمية، ولو عبر تجارب محدودة، أو متعثّرة: بالفئوية ونزعة الاستبداد والتفرّد والقمع...

بعد احتلال أفغانستان والعراق، تمّ تهديد وإخراج سوريا من لبنان الذي استهدفه، هو الآخر، عدوان إسرائيلي/ أميركي في تموز من عام 2006... ثم إلى «الربيع العربي» أواخر عام 2011. خلاصة ذلك «الربيع»: الإطاحة بالقذافي ومقتله وتفكيك ليبيا. مخاض مرحلي «إخواني» فبدائل عسكرية في مصر وتونس. احتواء المعارضة في المغرب ودفعه إلى التطبيع. التدخل العسكري السعودي في «ربيع» اليمن وتكريس الانقسام والحرب الأهلية. تحييد الجزائر واحتواؤها. تدمير متواصل للسودان بحرب أهلية طاحنة. إغراق العراق بالانقسامات الطائفية والقومية. إدارة حرب شعواء في سوريا شاركت فيها عشرات الدول وانتهت بإسقاط نظامها وفرض وضع عجيب وهجين عليها... إلى ذلك، دُفع الشعب الفلسطيني إلى اليأس عبر حرمانه من أبسط حقوقه في إقامة حتى شبه دويلة مع إسقاط قرارَي الأمم المتحدة: «حل الدولتين» (1947) وحق العودة 1948. إطلاق «صفقة القرن» ومعها «الاتفاقات الإبراهيمية» الترامية. في الأثناء، ظهور «داعش» و«خلافة» البغدادي، في أجزاء واسعة من سوريا والعراق، ضمن هذا الفيلم الأميركي الطويل...

عملية «طوفان الأقصى» كانت إحدى محطات كفاح الشعب الفلسطيني في مواجهة مسلسل الاغتصاب والتوسع والتصفية والتواطؤ والتطبيع. سارع قادة حلف «الناتو»، بزعامة واشنطن، إلى تبرير ودعم ردّ إسرائيلي بتحويلها إلى حرب إبادة وتدمير وتجويع وتهجير في خدمة هدف تصفية الشعب الفلسطيني وقضيته، وإقامة «إسرائيل الكبرى»، في كنف شرق أوسط استعماري «جديد».

في السياق تمّ تعطيل كل عمل عربي مشترك يتجاوز بيانات رفع العتب. الدول المطيعة صمتت وتواطأت وقمعت. بعضها لم يتردّد في الانحياز العلني للعدو كالأردن ودولة الإمارات. غابت كلياً جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي ومجلس الأمن المُعطّل بالفيتو الأميركي. تُرك الشعب الفلسطيني شبه وحيد، ولا يزال، فريسة لآلة القتل والتدمير والتجويع والإبادة الهمجية الصهيونية المدعومة، خصوصاً، من واشنطن.

أُضيف كل ذلك إلى واقع مأزوم بكل المقاييس، في كل الدول العربية التي كانت قد تعرّضت للغزو من قبل واشنطن والأطلسيين وأدواتهم كـ«داعش»، و«ثورات الربع العربي»، ما جعل مجمل الوضع العربي في غاية التفكّك والوهن والعجز...

في الأثناء، كانت القوى الوطنية والعروبية (الرسمية والشعبية) في ذروة ضعفها وانكفائها. رغم ذلك برزت قيادة الجمهورية «الإسلامية» (وبهذه الصفة) لاعباً وهدفاً في الوقت نفسه. شقّت قيادتها مساراً واضحاً وحاسماً لجهة تحديد الهدف (القضية الفلسطينية) وإعداد الوسائل والقوى. اقتصارها على جانب جزئي من التعبئة، لم يلغِ الطابع التحرري العام لتأثيرها. كذلك، هو لم يحل دون قدرتها على تحقيق إنجازات باتت، في عدة بلدان عربية، مصدر قلق لدى الدوائر الاستعمارية والصهيونية، كما لدى الأنظمة التابعة وفي مقدّمها معظم دول الخليج والدول المُطبِّعة أو المُرشّحة للتطبيع مع المشروع الصهيوني...

ليس صدفة، في امتداد ذلك، أن طهران أصبحت الطرف الأكثر استهدافاً خصوصاً بعد انخراطها المباشر وغير المباشر في إسناد المقاومة في غزة. تُرجم ذلك بالحصار والعقوبات والتآمر والحملات الإعلامية. مع احتدام الصراع وإصرارها على الحضور في قوة محورية مشاركة وداعمة، تمّ استهدافُها بحرب مباشرة أميركية/ صهيونية من أجل إسقاط نظامها وإزالة ما مثّلته من عقبة في مراحل تراجع المشاريع التحررية الكبرى التي كان يمثّلها الاتحاد السوفياتي و«منظمة عدم الانحياز» وحركات التحرير في المستعمرات السابقة والأحزاب وأحزاب اليسار الجذري في البلدان الغربية...

صمود إيران يشكّل الحلقة الأكثر معاندة نظراً لقدرة سلطاتها على تجنيد ومراكمة عوامل الصمود والقوة، المعنوية والمادية، في الحقول كافة. لو سقطت إيران لاستتبّ الأمر للمحور الاستعماري الصهيوني لحقبات مديدة ولسنوات ستكون عجافاً دون شك.

أجدّد هنا ما تناولته في مقالي، قبل أسبوعين، بأن المنطقة تمر، راهناً، بأصعب وأسوأ مراحل معاناة شعوبها: احتلال، استباحة، تهديدات تستهدف كل مقوّمات وحدتها وسيادتها وثرواتها واستقرارها وحرية شعوبها... العدو شرس وعنصري ومتوحّش وجشع وطامع ومأزوم (بتراجع قدرته على المنافسة والاحتكار والسيطرة والنهب)... ذلك يملي، دون تأخير، إطلاق أوسع عملية استنهاض ومقاومة بأبعاد قومية ووحدوية تحررية شاملة. شعارات الوحدة والحرية والعدالة والاشتراكية هي الأجدر بأن تُستحضر اليوم على خلفية مراجعة جادّة ومسؤولة وعميقة للتجارب والأخطاء السابقة، ثم عبر اشتقاق وبلورة مشاريع وطنية وقومية ووحدوية تحررية تشكّل الأدوات التي لا غنى عنها، من أجل الدفاع عن المنطقة وشعوبها وثرواتها ومكانها تحت الشمس: في وجه برابرة العصر وقتلة الأطفال والحياة والحضارة والإنسانية جميعاً!

* كاتب وسياسي لبناني

التجوال بين اليسار واليمين في سيرة وليد جنبلاط [1]

أسعد أبو خليل *

صدرت للتوّ بالفرنسيّة مذكّرات وليد جنبلاط، «قَدَرٌ في هذا المشرق: من الحرب الأهليّة إلى السلام المُستحيل» (ساعتمدُ في هذه المراجعة على النسخة العربيّة الرسميّة للكتاب، باث الساسة في لبنان يحرصون على كتابة المذكّرات لمحاولة السيطرة على ذِكرهم في التاريخ اللّبناني، وللردّ على اتّهامات الخصوم. ومن الأذكى للسياسي أن يكتب مذكّراته حتى لا يتركها في أيدي خصوم أو متجرّدين أو أفراد من العائلة لا يُحسنون الإحاطة بتاريخ الوالد أو الجَدّ أو العمّ. وهناك صحافيّان معروفان يمتهنان معاونة السياسيّين اللّبنانيّين في كتابة مذكّراتهم كي تصل إلى العوام. مذكّرات صائب سلام الأخيرة (في ثلاثة أجزاء ضخمة) كانت الأبرز لما غطّته من تفاصيل في حياة طويلة وحافلة. شهادة فؤاد بطرس كانت وجهة نظر شهابيّة متصالحة مع اليمين اللّبناني الانعزالي ومع المنطق الطائفي الانعزالي. كان من المُفترض أن يُسجّل الصحافي اللّبناني غسان شربل (المُتخصّص في تحرير جرائد للنظام السعودي) شهادة جنبلاط، لكن المشروع تعثّر واستقرّ جنبلاط على صحافي فرنسي، وهذا خطأ في حدّ ذاته لأنّ الصحافي غير ضليع (أبداً) في الشأن اللّبناني كي يسأل عن تفاصيل الحرب الأهليّة ليساعد جنبلاط على سدّ ثغرات في الذاكرة. أحمد منصور في سلسلة مقابلاته الأخيرة مع جنبلاط على المتحدّث. في حالة البرت كوستانيان وأحمد منصور (وحتى جاد غصن في اللّقاء قبل أيّام في المكتبة الوطنيّة)، لم يواجه جنبلاط سؤالاً مُحرجاً واحداً يسأله عن تفسير لمواقف أو تقلّبات في المواقف أو تفسير لسياسات. يقول جنبلاط مثلاً لأحمد منصور (وسنعود إلى ذلك): إنّه تصالح مع بشار الأسد في عام 2011 بطلب من عبدالله بن عبد العزيز. لم يسأله منصور مثلاً: ولماذا تقوم بفعل غير مقتنع به بناءً على طلب من زعيم دولة أجنبيّة؟ لماذا لا يتّخذ قراراته بنفسه وما سبب مَونة عبدالله بن عبد العزيز على زعيم لبناني؟ والسياسي يعطي أفضل ما عنده لو أنّه قبل بالمواجهة مع صحافة مُنتقِدة أو مُسائلة. صُدام حسين اختار أمير إسكندر وفؤاد مطر لكتابة سيرته، والاثنان امتهنا التطبيل والتبخير لصدّام (مطر، عاد وانقلب ضدّ صدّام مثله مثل «الوطن العربي» في باريس بناءً على تمويل سعودي مُستجدّ). خذْ نواف سلام: لم يظهر في أيّ مقابلة صحافيّة مع إعلامي خارج نطاق التمويل الخليجي أو الغربي، ولا مرّة. الشيء نفسه بالنسبة إلى جوزيف عون. أصبح إعلام لبنان صحافة بلاط. عندما تحضّر بشير الجميّل للاستفادة من الاجتياح الإسرائيلي للبنان، طلب (بالأمر) إرسال عرفات حجازي من تلفزيون لبنان لإجراء مقابلة معه لكنّه لم يحاول إخفاء الظروف التهديديّة للمقابلة عندما أرسل مع حجازي تهديداً بذيئاً لشقيق الوزّان (عرفات أخبرني ذلك ووجد صعوبة في ذِكر الشتيمة). صائب سلام وكمال جنبلاط وريمون إدّه وكميل شمعون لم يجدوا حرجاً في إعطاء مقابلات لصحافيّين من الجهة المُعادية. هيكل لم يكن صحافي بلاط مع عبد الناصر، لا بل إنّ عبد الناصر ارتاح له لأنّه كان يُسائل ويستجوب ويختلف معه في الرأي أحياناً.

> تظهر الصراحة اللّافتة في الكتابة عن حياته الشخصيّة وحياة والديه (وهذا ما لم يسبقه إليه سياسي لبناني من قبل) لكنّ القِسم السياسي يحمل صفات وعناصر سياسية مُوارِبة محضة

عنوان الكتاب الذي بين أيدينا يشكّل مشكلة في حدّ ذاتها. كلمة القدر (بالعربيّة والفرنسيّة) تقلّل من مسؤوليّة السياسي وتجعله ضحيّة لظروف «خارجة عن إرادته». وفي التاريخ الإسلامي، نزعَ الحُكّام (وبخاصّة في العصر الأموي والعبّاسي الأوّل) إلى عقيدة «الجبريّة» التي تجعل من الإنسان مُسيَّراً بقدرة إلهيّة محتومة. تنعدم المسؤوليّة الشخصيّة للحاكم عندها، على طريقة «لا يُغني حذرٌ من قدر» (كتبتُ مقالة في مجلّة «ذا موسلم وورلد» عن «الجبريّة في الخطاب السياسي لعبد الناصر وصدّام: تسويغ الهزائم»، في أكتوبر 1994). الخلفاء عوّلوا على «الجبريّة» (المناقضة لفكرة الإرادة الإنسانيّة الحرّة) لإسباغ مشروعيّة دينيّة وسياسيّة على سياساتهم وحتى على سلالاتهم. ويُنسب إلى معاوية قولُه: «لو علم يرني الله أهلاً لهذا الأمر ما تركني وإيّاه».

وارتباط الشرق والمشرق بالقدريّة أو الجبريّة هو تسليم بقوّة هائلة للغرب وإسرائيل، ويمكن أن يُنقض ذلك من إيمان الفرد بقدرته على التغيير المناقض للواقع القائم الجائر. إنّ البيت الشعري الشهير، لأبي القاسم الشابي، والذي ذهب مثلاً في كلّ العالم العربي، هو تمرّد على فكر الجبريّة في الثقافة السياسيّة العربيّة المُهيمنة في العالم العربي. المشرق لم يستطع منع إقامة إسرائيل، وهذا صحيح، لكنّه لم يتوقّف عن إقلاق راحة الاحتلال، جيلاً بعد جيل، بالرغم من التضحيات الجسام ومن حجم الدمار والخسائر المتأتّية من وحشيّة العدوّ النازيّة. الكلمة بالفرنسيّة تحمل سِحراً استشراقيّاً يأخذ من خيال الرجل الأبيض عن ضعف واستكانة واستعبادية شعوب المنطقة. لا أدري إذا كان قد جرى نقاش بين جنبلاط والمؤلّف حول الكلمة. والغرب الاستشراقي لا يرانا إلّا كسالى دردبّين، نشطر الأبيات في الصباح ونقلّب حبّات السُّبحة منتظرين قدرنا بلا حول.

الكتاب يحمل تناقضاً في أنساق المضمون. جنبلاط كان صريحاً جدّاً وصادقاً في سيرته الشخصيّة وتحدّث من دون أيّ تبجّح (وهو بعيد عنه في شخصيّته على خلاف بطرس أو سلام أو كاظم الخليل أو بشارة الخوري). يجمع جنبلاط في شخصه (واحكمْ على ذلك عن بُعد، ومن دون معرفة شخصيّة) بين تواضع وابتعاد عن النرجسيّة والزهو مع تكبّر ينبعُ من أصول زعامته الطبقيّة والطائفيّة والمناطقيّة، ومن وراثة المنصب. وتظهر الصراحة اللّافتة في الكتابة عن حياته الشخصيّة وحياة والديه (وهذا ما لم يسبقه إليه سياسي لبناني من قبل) لكنّ القِسم السياسي يحمل صفات وعناصر سياسية مُوارِبة محضة، حيث إنّ هناك عبارات وانتقاء لوقائع لتُحسَبَ من موقع رجل السياسية وتبرّر له تكويعاته وتناقضاته. كلّ الذين حاوروا جنبلاط أخيراً في إعلانات إطلاق الكتاب غفلوا عن الاستجواب حول تناقضات كثيرة.

ويتمتّع جنبلاط بذاكرة حادّة ظهرت في مقابلاته مع أحمد منصور (في الأسماء أكثر من التواريخ). يتذكّر أدقّ التفاصيل، لكنّه أحياناً يبدو كمن يمارس نسياناً انتقائياً للهروب من موضوع قد يكون مُحرجاً له سياسياً (يتذكّر مثلاً بتفصيل مضمون لقاءاته وحواراته مع بشار الأسد لكنّه لا يتذكّر مضمون لقاءاته مع بوش أو رايس أو هادلي، عموميّات فقط). جنبلاط ليس من ذوي التدوين اليومي الانضباطي، على طريقة صائب سلام. لكن كان يمكن لصحافي مطّلع أن يشحذ ذاكرته باسئلة مُحدّدة عن مراحل مهمّة في تاريخ الحرب الأهليّة، هناك قرارات مهمّة (كما سأحاول أن أعرض) لم يتمّ الحديث عنها أبداً (مثل قرار حلّ الحركة الوطنيّة بعد أيّام فقط من بدء الإجتياح الإسرائيلي في عام 1982، وهو قرار اتُّخذ من قِبل محسن إبراهيم -الوثيق الصلة دوماً بسياسعرفات- ووليد جنبلاط، من دون مناقشة مع آخرين. لا ندري للساعة إذا كان هناك إيعاز أو ضغط خارجي لاتّخاذ هذا القرار المصيري الذي تُرجم باستسلام الحركة الوطنيّة).

الكتاب ليس سيرة كرونولوجيّة بالمعنى المتعارف عليه. هو سلسلة من جلسات بين جنبلاط ومُحاوره دارت حول مواضيع محدّدة، وقد تكون مُختارة من جنبلاط نفسه. تبدو من قراءتها أنّ جنبلاط تحدّث (بالفرنسيّة) وقام المُحاور بالتدوين، ثم جُمعت المواد في كتاب. ركّز المؤلّف على المرحلة حتى الطائف، ثم زاد بعضاً من الفصول. الحرب الأهليّة مرّت سريعاً جدّاً وخلت من موادّ جديدة. وهو يقدّ، بشدّة، ببعض مستشاري حافظ الأسد، مثل عبد الحليم خدّام وحكمت الشهابي، ولا يقدّ بأخرين. وهو يميّز بين حافظ الأسد وابنه، أي إنّ الحُكم على النظام ليس مبدئياً بقدر ما هو مصلحي. وحلفاء جنبلاط في طاقم النظام السوري هم من جماعة الحريري في النظام. لم يستمل الحريري خدّام بالوسائل الروحيّة. وعندما يتقلّب المرء في المواقف، هل نقدّ بحُكمه الجديد عن مواقف بات يتبنّاها؟ أم نحتاج إلى مراجعة نقديّة للمقارنة بين أقوال الماضي ومواقفه، وأقوال الحاضر ومواقفه؟

(يتبع)

* كاتب عربي

حسابه على إكس «@asadabukhalil»

هل تكون إيران مقبرة للإمبراطورية الأميركية؟

حسين صفي الدين *

إنّ تداعيات الحرب على إيران، التي تخطّت عاماً، تكشف عن تحوّل عميق في مسار المواجهة. فقد استخدمت الولايات المتحدة كلّ ما تملكه من قوّة جوية وبحرية، واستندت إلى قواعدها المنتشرة في المنطقة والعالم، كما استخدمت أدواتها الإقليمية، وكل أساليب الخداع والمناورة، وكانت المفاوضات نفسها إحدى أدوات هذه الحرب. ومع ذلك، كانت طهران تخرج من كل معركة في مسار الحرب الأميركية-الإسرائيلية عليها أكثر قوة.

بل إن الحصار الأميركي لمضيق هرمز تحوّل، في لحظة ما، إلى حصار للولايات المتحدة نفسها وللاقتصاد الغربي عموماً. فقد استهلكت الولايات المتحدة قسماً كبيراً من ترسانتها التسليحية، وتعرّضت قواعدها الـ22 المنتشرة في دول المنطقة للضربات، حتى بدا الإيراني، في صورة معكوسة، كأنه يحيط أميركا بأسواره.

الحرب على إيران، التي أرادها ترامب خاطفة، تهدف إلى إسقاط الدولة الإيرانية ونظامها خلال أيام، نراها اليوم، بتداعياتها، وقد أدخلت ترامب وإدارته في متاهة لا خروج منها إلا بتقديم تنازلات كبرى. وقد تضمّنت ورقة التفاهم الموقّعة بين واشنطن وطهران في إسلام آباد جانباً من هذه التنازلات، قبل أن يحاول ترامب الانقلاب عليها بعد ساعات من توقيعها، مستفيداً من فترة الستين يوماً التي اتُّفق عليها لإنهاء الإجراءات العملية اللازمة لتنفيذ بنود الاتفاق، وخصوصاً ما يتصل بفتح المضيق.

وقد عكس ذلك المأزق الكبير الذي وقعت فيه الإدارة الأميركية، فيما بدأت بوادر الهزيمة في الملف الإيراني تلوح في الأفق.

فهل تكون معركة مضيق هرمز، وإسقاط مغامرة السيطرة الأميركية عليه، مقبرة للإمبراطورية الأميركية وبداية لأفولها؟ وهل يمكن مقارنتها، من حيث الأثر التاريخي، بقرار جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس وطرد البريطانيين من محيط القناة ومن مصر، بما مثّل بداية أفول الإمبراطورية البريطانية؟ ولا سيما أن ذلك التحوّل جرى في ظل تأييد ودعم القوتين الصاعدتين بعد الحرب العالمية الثانية، الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي.

وهل يقود هذا الصراع الكبير والحادّ داخل الكيان الأميركي، أي الخلاف الاستراتيجي بين الدولة العميقة وخصومها حول مآلات المواجهة مع الصين، إذا ما كسبته الدولة العميقة، إلى سقوط الجمهورية الأميركية لصالح إمبراطورية تحكمها سلطة المال والبنوك الفدرالية، القادرة على الانتقال بثقلها من مكان إلى آخر حيثما تنتقل مصالحها؟

بين الولاية الأولى للرئيس ترامب، الممتدّة بين عامي 2016 و2020، وولايته الرئاسية الثانية، وما بينهما من أحداث كبرى على المستوى العالمي، ظهر بوضوح مدى حدّة الصراع بين القوتين السياسيتين داخل الكيان الأميركي. فلم تكن معركة ترامب كسابقاتها من المعارك الانتخابية، بل كانت مواجهة بين استراتيجيتين مختلفتين للتعامل مع الخطر الصيني الآتي، الذي بدأ يهدّد الريادة والسيطرة الأميركيتين، ولا سيما بعد الأزمة المالية عام 2008، وما رافقها من زيادة في البطالة وتراجع في الصناعة وإقفال الكثير من المصانع وانتقال صناعات كبرى إلى الخارج.

في هذا السياق جاءت الحرب الأوكرانية، التي أطلقها بايدن ودعمها، لتدخل عامها الرابع من دون أفق واضح للحل. وكان أوباما قد مهّد لبعض شروطها، وفق هذه القراءة، في لحظات ما قبل مغادرته البيت الأبيض ووصول ترامب إلى السلطة، عبر الانقلاب على اتفاقية مينسك عام 2016. وكان ذلك على النقيض من استراتيجية هنري كيسنجر، الذي دعا إلى احتواء روسيا في محاولة لتفادي أي إمكانية لتحالف صيني - روسي يمنح الصين قوة إضافية في مواجهة الولايات المتحدة، وليس بالضرورة عبر حرب مباشرة.

من هنا جاءت شعارات ترامب، مع تعديل لصيغة «لنجعل أميركا عظيمة من جديد»، مركّزة على وقف الحرب في أوكرانيا بوصفه هدفاً أول يمكن أن يساعده على احتواء روسيا. وكذلك استكمال السيطرة الأميركية على قرارات «أوبك»، وهي المهمة التي فشل في إنجازها خلال ولايته الأولى، إضافة إلى زيادة الضغط على إيران بالعقوبات، بهدف فرض سيطرة أكبر على تجارة النفط العالمية المتجهة إلى الصين.

لكنّ السنوات الثماني الماضية حملت تغيّرات كثيرة على مستوى الساحة الدولية. فالحرب الأوكرانية، التي دخلت عامها الرابع، جعلت شعار ترامب القائم على وقف الحرب يواجه صعوبات كبيرة، إذ اصطدم، في تقديري، بجدار أوروبي داعم لزيلينسكي، ومدعوم بصورة مطلقة من الدولة العميقة الأميركية، وبموقف معاند يرفض كل محاولاته لإنجاز تسوية ما للحرب الأوكرانية.

لذلك انتقل ترامب إلى ممارسة حملة ضغط علنية وعملية على المجموعة الأوروبية و«الناتو»: مرة عبر الدعوة إلى انضمام كندا إلى الاتحاد الأميركي، ومرة عبر المطالبة بغرينلاند، بذريعة ضرورتها للأمن القومي الأميركي وللاستراتيجية المرتبطة بخطوط الملاحة العالمية.

ثم انتقل إلى مشروع إحكام السيطرة على النفط، وتحديداً النفط الذي يذهب نحو 80% منه إلى الصين، في فنزويلا وإيران. وإلى جانب ذلك، ورث ملفات كثيرة تركها بايدن في مواجهته، كما فعل سلفه أوباما. فمنذ إعلان نتائج الانتخابات وإعلان فوز ترامب، وحتى تسلّمه السلطة في 20 كانون الثاني 2025، تراكمت أمامه ملفات غزة واليمن ولبنان والانقلاب الكبير في سوريا وأوكرانيا، وصولاً إلى قرار السماح لزيلينسكي باستخدام الصواريخ الأميركية البعيدة المدى في العمق الروسي.

وانطلق ترامب في مغامراته في فنزويلا عبر عملية أمنية خاطفة، مدعومة بخيانات داخلية، استمرت لساعات، وانتهت إلى محاولة فرض السيطرة الكاملة على القرارين السياسي والاقتصادي الفنزويليّيْن. وكان ذلك النصر الوحيد لترامب في حرب غير متماثلة.

وخلال ما يقارب العامين من وجوده في البيت الأبيض، لم يستطع ترامب أن ينجح في حل أي من الملفات الخمسة المفتوحة. فقد انتقل من أزمة إلى أخرى، ولا يزال غارقاً في الفخ الإيراني، مع إمكان توسع الصراع في المنطقة، فيما تزداد التأثيرات الاقتصادية على الاقتصاد العالمي تعقيداً، وتبدو عصية على الحل وفق منهجيته القائمة على «الإخضاع».

وهو يقف دائماً بين خيارين، أحلاهما مرّ: إمّا الاتفاق مع إيران، وإمّا الحرب المستحيلة، بما تحمله من تداعيات غير مضمونة على مصيره السياسي ومصير الولايات المتحدة نفسها.

وفي ظل كل هذه التعقيدات المرتبطة بالحرب الإيرانية ومضيق هرمز، بدأت محاولات ترامب المتكررة للحصول، عبر التفاوض ومن خلال أصدقاء مشتركين مع إيران، على ما لم يحصل عليه بالحرب. إنها الحرب التي تورّط فيها ترامب، وهو أول رئيس أميركي منذ نجاح الثورة الإيرانية يذهب إلى هذا المستوى من المواجهة المباشرة، بعدما أغواه اللوبي الصهيوني ونتنياهو تحديداً، فضلاً عن الضغوط والابتزاز المرتبطيْن بملف إبستين، من دون أن ينتبه جيداً إلى أن بنية إيران السياسية والأيديولوجية والأمنية والعسكرية، وتجربتها الطويلة مع العقوبات الاقتصادية ونجاحها في مواجهتها طوال أربعة عقود، ليست كفنزويلا.

فحرب «قطع الرأس» في إيران أدّت إلى إثبات أن هناك رؤوساً أكثر بأساً. وزيادة الضغط أخرجت ما لدى الشعب الإيراني من إرادة صلبة وهائلة على الصمود والمواجهة، إلى درجة بات معها المجتمع أكثر تشدّداً من القيادة السياسية التي تفاوض.

وقد أجبرت هذه القيادة الأميركي على توقيع مذكّرة تفاهم في إسلام آباد، تضم أربعة عشر بنداً تكاد، بحسب مراقبين غربيين قبل غيرهم، تميل لمصلحة إيران، وتمهّد لسيطرة إيرانية على مضيق هرمز، كما تؤسس لضبط سلوك الكيان الصهيوني في فلسطين وسوريا والمنطقة عموماً.

لقد حوّلت إيران هذه الحرب إلى حرب وجودية مع الولايات المتحدة. وهذا الصراع الوجودي لا يمكن أن تخرج منه إيران منتصرة إلا إذا ضمنت وجودها مستقلة، متمتّعة بسيادتها وحريتها، بعيداً من العقوبات والغطرسة الاستعمارية.

وكانت هذه المعارك الثلاث في مسار الحرب الأميركية ضد إيران، والتي فشلت في إخضاعها، تشكّل في الوقت نفسه إهانة للغطرسة الاستعمارية الأميركية. فالولايات المتحدة لم تستطع حماية قواعدها في المنطقة، وأظهرت الأحداث تراجع ثقة الدول الحليفة بجدوى وجودها العسكري، وبجدوى الرهان على الولايات المتحدة لتأمين حماية أنظمتها.

بل إن هذه الدول وجدت نفسها تدفع أثمان الدفاع عن الكيان الصهيوني، كما تتحمل كلفة الحملة الأميركية على إيران، التي بدأت بنحو 300 مليون دولار يومياً، ثم سرعان ما وصلت إلى 600 مليون دولار يومياً بعد وصول حاملات الطائرات، واستمرت على هذا النحو حتى اليوم.

إن ورقة تفاهم إسلام آباد أدخلت ترامب وإدارته في متاهة بات الخروج منها صعباً من دون تنازلات جدّية.

ولذلك سرعان ما حاول الانقلاب عليها عبر إيقاظ شياطين المنطقة، من لبنان إلى دول الخليج التي عانت ما عانته من هذه الحرب، واستُخدمت درعاً للدفاع عن الكيان الصهيوني، في حين لم تتحرك القواعد العسكرية المنتشرة على أراضيها أثناء قصف الكيان الصهيوني لقطر.

وفي لبنان، استُدعيت السلطة، المتواطئة مع قوات الاحتلال، لتعلن رفضها للبند الأول من اتفاق وقف إطلاق النار الذي فرضته إيران في مفاوضاتها مع الأميركيين، والذي يدعو ضمناً إلى انسحاب إسرائيلي خلال ستين يوماً من الأراضي التي يحتلها في لبنان.

وفي مرحلة لاحقة، انتقلت السلطة من التواطؤ إلى الخيانة، عبر توقيع اتفاق إطار، من خلال مفاوضات مباشرة، يشبه معاهدة تحالف مع الكيان الصهيوني. وهو اتفاق يبرّئ الكيان من كل جرائمه منذ وجوده على أرض فلسطين حتى اليوم، عبر إعلان أن لا أطماع له في الأراضي اللبنانية، كما يتضمن، وفق هذا التصور، إعفاء العدو من جرائم الحرب التي قد يرتكبها لاحقاً، وتحديد المقاومة بوصفها العدو المشترك.

وفي الإطار نفسه، أي «استدعاء الشياطين»، قام وزير الخارجية الأميركي روبيو بزيارة إلى دول الخليج، وفرض عليها بياناً يعلن رفضها لأي إدارة إيرانية أو عُمانية للمضيق، في محاولة للتملص الأميركي من البند الخامس من الاتفاق، وسط كثير من المراوغة والتهويل وحشد الجيوش والتلويح بالضربات العسكرية بهدف فرض الهيمنة.

وكان التهديد العاشر قد انتهى أمده منذ أسبوع، في محاولة لاستعادة شيء من الهيبة حتى الآن. ولا ينتهي هذا المسلسل من الخداع واستدعاء الشياطين بالحلف الثلاثي بين السعودية وباكستان وتركيا. ولعلّ القوى الاستعمارية، كما اعتادت، تبحث دائماً عمّن يحمل عنها أعباء فشلها في حروبها، وتنقل المواجهة في الإقليم إلى عناوين قبلية أو طائفية أو إثنية.

وكما بدا واضحاً الآن، جاء مسار المواجهة الإيرانية ليؤكد حضور إيران العسكري الجدّي، في الدفاع كما في الهجوم، ويكشف عن الصمود الاستثنائي لقواتها العسكرية وشعبها وقدرته على تحمّل العقوبات دفاعاً عن كرامته الوطنية.

ويُضاف إلى ذلك واقع المقاومات المتحالفة مع إيران، وكذلك الهزائم الأميركية في معاركها الثلاث معها. ولذلك، لن تجرؤ أي من قوى الإقليم، وحتى الكيان الصهيوني نفسه، على خوض حرب مع إيران ومحور المقاومة من دون الولايات المتحدة.

وهكذا، فإن الأميركي لا يزال يعيش اليوم في متاهة لا مخرج منها، على الرغم من اختلال ميزان القوى لمصلحة الكيان الأميركي وسطوته على قيادات دول المنطقة وبعض حكومات العالم، التي استخدمها أدوات لخداع إيران في مفاوضات متتالية وكسب الوقت. لكن السؤال يبقى مفتوحاً:

هل يمكن لإيران أن تحوّل استنزاف الولايات المتحدة في هذه الحرب، ومعركة السيطرة على مضيق هرمز، إلى لحظة تاريخية تشبه في آثارها التحوّلات التي رافقت أفول الإمبراطوريات السابقة؟ أم أن الإمبراطورية الأميركية، على الرغم من أزماتها الداخلية وهزائمها الخارجية، لا تزال تملك من عناصر القوة ما يسمح لها بإعادة إنتاج هيمنتها وتأجيل لحظة الأفول؟

* باحث

السلة اللبنانية

لبنان يتحضّر لمواجهة كوريا والصين... طريق المونديال معبّدة

بدأ منتخب لبنان لكرة السلة تحضيراته لمباراتي «النافذة الرابعة» من تصفيات كأس العالم المقررة العام المقبل في قطر والتي سيواجه خلالها كوريا الجنوبية في 27 الشهر الجاري على ارضية ملعب مجمع نهاد نوفل في ذوق مكايل شمال بيروت، قبل لقاء الصين في بكين في 31 آب أيضاً. «الأخبار» زارت تدريبات المنتخب التي اقيمت امس الجمعة على ارضية ملعب صائب سلام في المنارة ووقفت على آخر التطورات

فاز منتخب لبنان في 5 من 6 مباريات في التصفيات (موقع الفيبا)

أكد مدرب منتخب لبنان أحمد فران لـ«الأخبار» أن هدف المعسكر الاوروبي هو الاحتكاك والتحضير

حسين سقور

حماسة كبيرة يظهرها لاعبو منتخب لبنان لكرة السلة مع انطلاق التدريبات التحضيرية لتصفيات المونديال. تمرينة أولى شارك فيها لاعبون أساسيون، بحضور اللاعب المجنس الجديد، الأميركي «دي جي فاندربورك»، وتتواصل التدريبات اليوم وغداً قبل السفر الإثنين إلى جورجيا لخوض معسكر مكثّف، يواجه خلاله اللبنانيون منتخبي جورجيا والبرتغال. وفي حديث مع «الأخبار» أكد مدرب المنتخب أحمد فران أن الحماسة موجودة والرغبة بالفوز حاضرة من أجل حسم بطاقة المونديال، مشيراً إلى عامل التعب الحاضر على اللاعبين: «الموسم كان طويلاً جداً. اللاعبون لم يأخذوا القدر الكافي من الراحة. لاعبنا الجديد دي جي فاندربورك ممتاز، ولكن لن أحكم عليه حتى نراه في المباريات. هو يمتلك الكفاءة. معه سنكون قادرين على الذهاب بعيدًا». وأكد فران التعويل على المعسكر الأوروبي: «هدفنا من المعسكر في جورجيا ليس الفوز على المنتخب الجورجي أو البرتغالي، بل الاحتكاك والتحضير لمواجهتي كوريا والصين». وطالب مدرب المنتخب من الجمهور الهدوء وعدم التسرع وإطلاق الأحكام، لأن المنتخب جيد وعلى المسار الصحيح، ولا يجب أن يكون تحت الضغط خاصة خلال مباريات المعسكر التي هي مع كبار أوروبا، وهدفها التحضير للمباريات الرسمية.

وأبدى اللاعبون حماسة كبيرة، كون الوصول إلى كأس العالم هو حلم بالنسبة إلى كثيرين، فقال جهاد الخطيب لـ«الأخبار»: «متحمسون للغاية للمباريات المقبلة، وحلمنا اللعب بكأس العالم. يجب أن نركز ونلعب كل مباراة على حدة، ونستمع من المدرب ونقاتل في الملعب». من جهته قال لاعب الخبرة سيرجيو الدرويش: «تحضيرات ممتازة ولدينا كل الثقة بالمدرب والجهاز الفني. ويجب أن نقاتل ونفوز بكل مباراة من أجل حسم التأهل». بدوره اعتبر هايك غيوكوجيان أن الأساس هو الانسجام واللعب كمجموعة: «علينا إدخال زميلنا دي جي فاندربورك في الأجواء ونلعب مع بعضنا البعض كمجموعة متجانسة. لدينا مباراتان مهمتان مع كوريا والصين ويجب أن نفوز». ويعاني منتخب لبنان من مجموعة إصابات، فإضافة إلى غياب النجم وائل عرقجي نتيجة الإصابة بالركبة، فإن هايك والخطيب لديهما إصابة طفيفة على مستوى الكاحل ولكنهما يتدربان، في وقت يتعافى الدرويش من آثار عملية خضع لها ويتدرب أيضاً، كما أن علي منصور وأمير سعود يعانيان من مشكلات صحية بسيطة ويتلقيان العلاج وسيكونان مع المنتخب.

بالتأكيد إن الأساس سيكون المعسكر في جورجيا، كون الفريق سيكون مجموعاً وقادراً على التركيز والابتعاد عن أي مؤثرات خارجية. ويمتلك المدرب فران تشكيلة جيدة جداً في ظل وجود الأسماء التي ذكرناها، إضافة إلى كريم زينون وعلي مزهر ومارك خوري ويوسف خياط... تشكيلة مميزة قادرة على الذهاب بعيداً وتحقيق الفوز على كوريا الجنوبية والصين.

وفي مسار التصفيات، فاز منتخب لبنان على قطر (75-74)، قبل أن يعود ويخسر من المنتخب ذاته (83-86) وبعدها حقق 4 انتصارات متتالية على السعودية (94-64) والهند (99-56) وعلى السعودية مجدداً (88-82) والهند أيضاً (98-72). نتائج مميزة، تؤكد مكانة المنتخب اللبناني الذي احرز سابقاً وصافة آسيا، ويعتبر من كبار منتخبات القارة الصفراء.

قضية

المال vs البطولات: المعادلة الأصعب في كرة القدم

جنون حقيقي تعيشه كرة القدم الأوروبية. تنافس الأندية على استقدام اللاعبين بدأ يخلق تضخماً في الأسعار، الأمر الذي يُجبر الإدارات على توسيع ميزانياتها ولكن دون نتائج مضمونة

شيرين موسى

لم تكن كرة القدم يوماً ساحة متكافئة بين الأطراف المتنافسة. لطالما سيطرت الأندية الأكثر ثراءً على أسواق انتقالات اللاعبين، ما منحها هامشاً أوسع لتعزيز صفوفها والمنافسة على الألقاب. لكنّ الفجوة المالية بين الأندية الكبرى والأقل نفوذاً اتّسعت بشكل ملحوظ خلال العقدين الأخيرين.

بدأ هذا التحوّل عندما أطلق رئيس ريال مدريد فلورنتينو بيريز عام 2000 عصر الإنفاق الضخم، باستقدام البرتغالي لويس فيغو من برشلونة مقابل 60 مليون يورو. ولم يصمد الرقم القياسي سوى عام واحد، إذ سجّل النادي الملكي رقماً جديداً في عام 2001 عندما تعاقد مع الفرنسي زين الدين زيدان مقابل نحو 73,5 مليون يورو.

أمّا اليوم، فيواصل الدوري الإنكليزي الممتاز ترسيخ هذا التوجه. حتى نهاية تموز من العام الجاري، أنفقت الأندية الإنكليزية أكثر من 1,4 مليار جنيه إسترليني على ضمّ لاعبين جُدد هذا الصيف، أي أكثر بنحو 303 ملايين جنيه إسترليني من إجمالي إنفاق جميع أندية الدرجة الأولى في ألمانيا وإسبانيا وفرنسا وإيطاليا. وفي ظل هذا التفاوت الكبير في القدرات الاقتصادية، يبقى السؤال: هل يشتري المال فعلاً البطولات في كرة القدم؟

كبار إنكلترا تحت المجهر

تكشف الأرقام تفاوتاً واضحاً في صافي الإنفاق بين أندية إنكلترا الخمسة الكبرى، استناداً إلى بيانات Football365 بين موسمي 23/2022 و26/2025. خلال هذه الفترة، بلغ صافي إنفاق مانشستر سيتي 370,90 مليون جنيه إسترليني، مقابل 354,68 مليون جنيه إسترليني لليفربول، و549,75 مليون جنيه إسترليني لمانشستر يونايتد، و732,31 مليون جنيه إسترليني لتشيلسي، فيما بلغ صافي إنفاق أرسنال 541,77 مليون جنيه إسترليني.

وعند مقارنة هذه الأرقام بعدد البطولات التي أحرزتها الأندية، باستثناء درع المجتمع وكأس السوبر الأوروبي، يظهر بوضوح التباين في قدرتها على تحويل استثماراتها في سوق الانتقالات إلى نجاح ملموس. يتصدّر مانشستر سيتي قائمة كفاءة الاستثمار، بعدما حقّق 5 ألقاب، هي الدوري الإنكليزي الممتاز مرتين، ودوري أبطال أوروبا، وكأس الاتحاد الإنكليزي، وكأس العالم للأندية، بمعدّل إنفاق صافٍ بلغ 75,4 مليون جنيه إسترليني لكل بطولة. يليه ليفربول بلقبين، هما كأس الرابطة الإنكليزية والدوري الإنكليزي الممتاز، بمعدّل 177,3 مليون جنيه إسترليني لكل بطولة.

ويأتي مانشستر يونايتد ثالثاً بلقبين، هما كأس الرابطة الإنكليزية وكأس الاتحاد الإنكليزي، بمعدّل 274,9 مليون جنيه إسترليني لكل بطولة. ويحتل تشيلسي المرتبة الرابعة بعدما حصد دوري المؤتمر الأوروبي وكأس العالم للأندية، بمعدّل 366,2 مليون جنيه إسترليني لكل بطولة. أمّا أرسنال، فحقّق بطولة واحدة هي الدوري الإنكليزي الممتاز، ما يجعله الأقل كفاءة استثمارية بمعدّل 541,8 مليون جنيه إسترليني للبطولة الواحدة.

حقّق ليفربول صافي الإنفاق الأفضل بين الأندية الخمسة، لكنه جاء ثانياً من حيث تحويل هذا الاستثمار إلى نجاح ملموس. أمّا مانشستر سيتي، فأظهر أعلى كفاءة في موازنة إنفاقه مع إنجازاته، محقّقاً أكبر عدد من الألقاب خلال الفترة نفسها. وبالنسبة إلى تشيلسي، فهو النادي الأكثر إنفاقاً، لكنه حصد بطولتين فقط، وهو العدد نفسه الذي حقّقه ليفربول ومانشستر يونايتد بإنفاق أقل. ورغم فوزه بآخر نسخة من الدوري، جاء أرسنال خامساً من حيث الكفاءة الاستثمارية.

توضح هذه المقارنة أن المال يمنح الأندية قدرة أكبر على المنافسة، لكنه لا يمثّل العامل الحاسم في حصد البطولات.

الإنفاق الذكي

يخطئ من يفترض أن المال أصبح عاملاً ثانوياً في عالم الرياضة الحديث، لكنّ الإفراط في الاعتماد عليه بوصفه الوسيلة الأساسية لتحقيق البطولات أثبت فشله في مناسبات عديدة أيضاً.

يتّضح ذلك في تجربة مجموعة «الغلاكتيكوس» التي استقدمها فلورنتينو بيريز إلى ريال مدريد بين عامي 2000 و2006، وضمّت فيغو وزيدان وماكيليلي ورونالدو نازاريو وبيكهام وأوين وغيرهم. ورغم مردودها الاقتصادي الهائل، فبعد 3 مواسم ناجحة، فشلت هذه المجموعة في حصد أي لقب بين عامي 2003 و2006. ويُعزى ذلك، إلى حدّ ما، إلى تركيز النادي على الصفقات التجارية واستقطاب النجوم في المراكز الهجومية، على حساب بناء فريق متوازن بين الدفاع والهجوم. وبرز ذلك بوضوح بعد رحيل ماكيليلي، أحد أبرز لاعبي الارتكاز الدفاعي في الفريق، إذ لم تنجح الانتدابات اللاحقة في تعويضه.

الإنفاق المطلوب ليس بالضرورة إنفاقاً هائلاً، بل هو إنفاق ذكي يقوم على استراتيجية رياضية متماسكة يضعها مالك النادي بالتوافق مع المدرّبين والطواقم الفنية. ويعني ذلك استقدام اللاعبين وفق خطط مدروسة، لا صفقات عشوائية، بما يتناسب مع رؤية الفريق واحتياجاته.

قد تساهم المبالغة في الإنفاق في تدعيم الصفوف بالمواهب وتعزيز دكّة البدلاء، وتوفير الخيارات التي يحتاج إليها المدرّب على أرض الملعب، لكنها لا تحسم مسألة النجاح. فالانتصارات تتطلّب فريقاً يوازن بين الخبرة والموهبة، ويضمن التجانس بين المهارات المُتاحة والأدوار المُسندة إلى اللاعبين.

في النهاية، لا يكمن الفارق بالضرورة في حجم الأموال التي ينفقها النادي، بل في قدرته على توظيفها ضمن مشروع رياضي متكامل. فالمال قد يشتري المواهب، لكنه لا يشتري بالضرورة الفريق القادر على تحويل تلك المواهب إلى بطولات.

أنفقت الأندية الإنكليزية أكثر من 1,4 مليار جنيه إسترليني على ضمّ لاعبين جدد هذا الصيف

صرف أرسنال 541 مليون جنيه إسترليني وفاز ببطولة الدوري فقط (ويب)

أخبار عالمية

شفيونتيك تُتوّج بلقب كندا

حصدت إيغا شفيونتيك لقبها الأول هذا الموسم بعد فوزها السريع على إيلينا ريباكينا بنتيجة 6-2 و6-3 في نهائي بطولة كندا المفتوحة للتنس، لتمنح اللاعبة البولندية نفسها دفعةً كبيرةً من الثقة قبل انطلاق أميركا المفتوحة.

وكان هذا أوّل نهائي تخوضه شفيونتيك في البطولة الإعدادية لأميركا المفتوحة، واستمتعت اللاعبة الحاصلة على ستة ألقاب كبرى بدعم جماهير تورونتو التي ظلّت تردد اسمها «إيغا! إيغا!» طوال المباراة، فيما رفرفت بعض الأعلام البولندية في المدرجات احتفالاً بمسيرتها نحو اللقب.

لكن شفيونتيك قالت لشبكة «سبورتسنت» الكندية إنها شعرت بالغضب أكثر من الفرح بعد الفوز، في ظل الانتقادات التي تعرّضت لها من وسائل الإعلام في بلادها خلال موسم متقلّب، أخفقت خلاله في تجاوز دور الثمانية في أي منْ البطولات الأربع الكبرى، كما شهدَ تغييرها لمدربها.

وقالت اللاعبة البولندية «أعتقد أنّ هذه هي المرة الأولى في حياتي التي أشعر فيها بشيء، كهذا بعد الفوز، لكن الأمر لم يكن سهلاً. كما تعلمون. أنا سعيدة لأنني تمكنت من الحفاظ على هدوئي وتركيزي، وواصلت التطوّر شهراً بعد شهر رغم كل التحديات، وأشعر بفخر كبير لأنني نجحت في حسم هذه المباراة لصالحي».

مستقبل مجهول لثلاثي ريال مدريد

لا يزال ثلاثي ريال مدريد السابق، داني كارفاخال، وديفيد ألابا ودااني سيبايوس، بلا نادٍ حتى الآن، بعد مغادرتهم النادي الملكي هذا الصيف.

ورحلَ كارفاخال وألابا عن قلعة سانتياغو برنابيو بعد انتهاء عقديهما، بينما أنهى سيبايوس علاقته بالنادي الملكي بعد التوصُّل إلى اتفاقٍ لإنهاء عقده، الذي كان يمتد حتى 2027.

وأكّدت صحيفة «موندو ديبورتيفو» الإسبانية أنّ اللاعبين الثلاثة يبحثون حالياً عن أندية جديدة للعب معها في موسم 2027-2026.

وكان كارفاخال البالغ من العمر 34 عاماً يتدرّب إلى جانب خوسيلو في مدينة كرة القدم بمدينة لاس روزاس، مقر الاتحاد الإسباني لكرة القدم، وينتظر اللاعبان هناك وصول عروض من الأندية المهتمة بالتعاقد معهما.

أما ألابا، البالغ من العمر 34 عاماً، فقد ذهبَ في إجازةٍ بعد كأس العالم، ويتواجد حالياً في ألمانيا بانتظار العثور على وجهته الجديدة، وقد كثر الحديث عن إمكانية انتقاله إلى الدوري السعودي، لكن المدافع النمساوي لا يزال في الوقت الحالي دون نادٍ.

وارتبط اسم دانّي سيبايوس (30 عاماً) بعدّة أندية أبدت اهتمامها بالتعاقد معه، لكن يبدو أنه ينتظر أن يجد ريال بيتيس الصيغة المالية المناسبة لإتمام صفقة ضمه.

نيوزيلندا تسحب دعمها لإنفانتينو

أصبحت نيوزيلندا، الجمعة، أحدث دولة تسحب دعمها لإعادة انتخاب رئيس الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) جياني إنفانتينو، على خلفية خطة بيع حصة من الحقوق التجارية للفيفا إلى مستثمرين من القطاع الخاص، وهي الخطة التي تم التخلي عنها لاحقاً. وفي المقابل، أبدى اتحاد الأوقيانوس لكرة القدم دعماً حذراً لقيادة الاتحاد الدولي. ويُواجه إنفانتينو ضغوطاً متزايدة بعدما دعَت ثلاثة اتحادات قارية، هي الاتحاد الأوروبي (ويفا)، والاتحاد الآسيوي، واتحاد أميركا الشمالية والوسطى والكاريبي (كونكاكاف)، إلى مراجعة إدارته، منتقدةً طريقة تعامله مع مشروع استقطاب استثمارات خاصة إلى مسابقات «فيفا».

ويستعد الرئيس الإيطالي-السويسري لخوض انتخابات رئاسة «فيفا» العام المقبل سعياً إلى الفوز بولاية رابعة، في وقت أعلن فيه الاتحادان الأفريقي والأميركي الجنوبي استمرار دعمهما له.

الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com
السبت 15 آب 2026 العدد 5851

(نهاد علم الدين)

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن
شركة أخبار بيروت

رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

المدير الفني
صلاح الموسى

المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com
ملحق أسبوعي

كلمات

صقر أبو فخر: مخيّم تلّ الزعتر كان فلسطين الصغرى
3-2

السبت 15 آب 2026
العدد 5851 السنة الحادية والعشرون
Samedi 15 Août 2026 nº 5851 21ème année

نصف قرن على مجزرة تل الزعتر

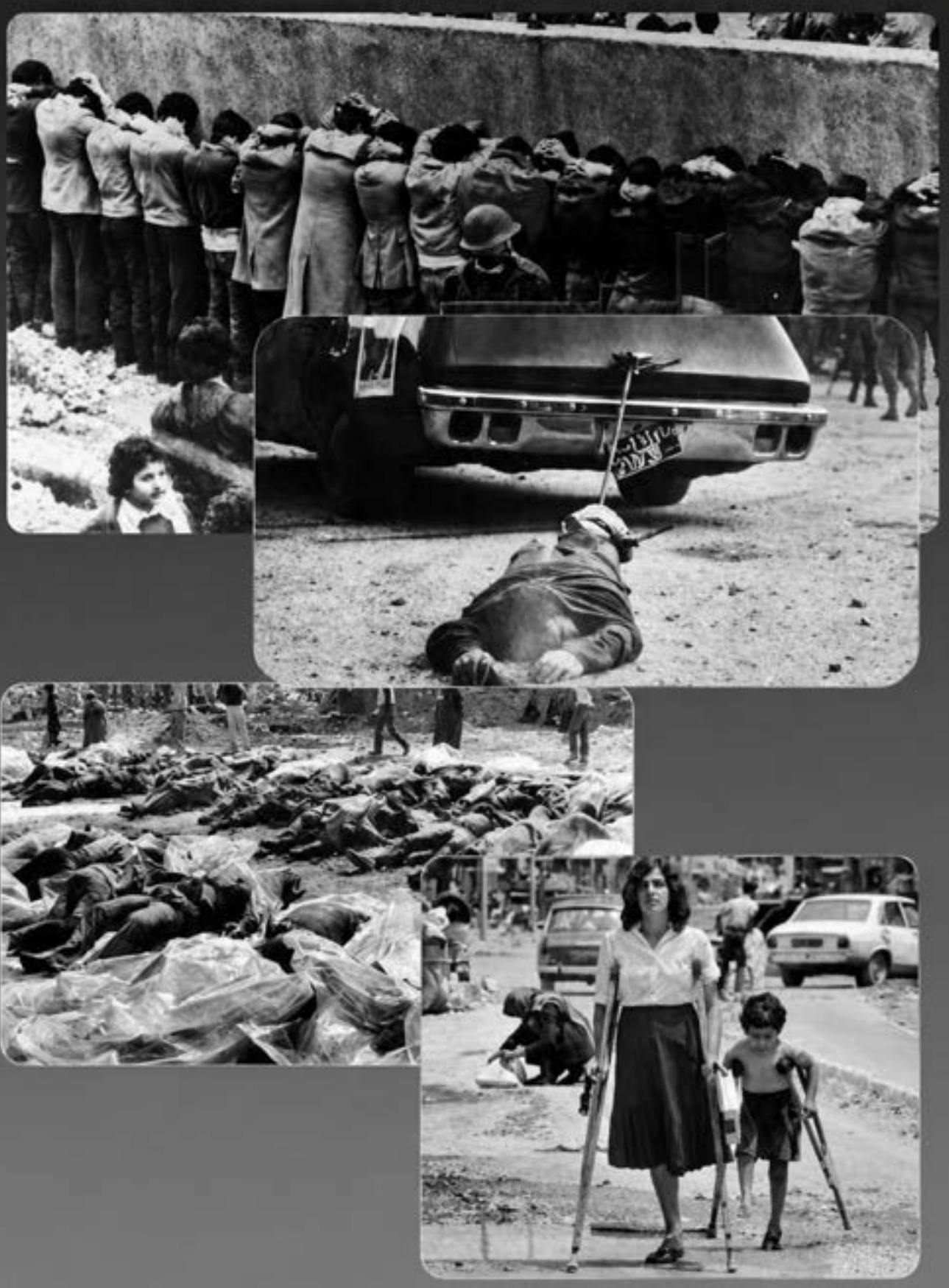

سمعنا الصلية ثانية
نال الله من الأرض
وأمعاء الأطفال على كفيه الضارعتين
بكى في الليل بكاء خشناً وتوسل بالناس
يعودون إلى تل الزعتر
فالله كذلك من عاصمة الفقراء
وهؤلاء الجيران تعوّدَهم
وتعوّدَ أن تنشر بين الخيمة والخيمة في الصبح ملابسهم
كان يلمّ ملابسهم أحياناً

لا تقتربوا... لا تقتربوا
لحم الأطفال سيلعب والغميضة شاملة
هذي اللعبة لا يقطعها أحد أبداً
خصيان الردة قد كبرت
أسمعتم.. أسمعتم؟..
أسمعُ صوت الشعب الغاضب في لحمي
لا تقتربوا.. لا تقتربوا.. لا تقتربوا.

(مظفر النواب. قصيدة «تل الزعتر»،
الأعمال الشعرية الكاملة، «دار قنبر»، لندن، 1996)

نصف قرن على المجزرة

لماذا بدت أنياب التاريخ ومخالبه ملطخة بالدم في ذلك اليوم الحامي من آب (اغسطس) قبل نصف قرن من اليوم؟ لم يسقط قرص الشمس مساء ذلك اليوم في البحر المقابل لتلك التلة الصغيرة شرق بيروت إلا مبللاً بدماء سكان «عاصمة الفقراء». لكن من أحلّ دمهم؟ هل أنصف التاريخ/ الفهد يوماً الغزالة الذبيحة؟ كم كانت اعداد تلك الطوابير التي سيقت إلى الذبح في حصار المخيم وأثناء اقتحامه وبعدما أخذ الأهالي والمدنيون الأمان بإخلائه من الصليب الأحمر والميليشيات التي قطعت عنه الماء والطعام والهواء؟ هل اسهمت القوات السورية في سقوط تل الزعتر كما تقول رواية الكثير من المقاتلين وشهود العيان، وإنّ «هروان لا يشرب من دم إخوانه لكني ملزم ان اقول الحقيقة/ إنه شارب من دمي للقرار» كما تقول القصيدة؟ حملنا في «كلمات» هذه الأسئلة وغيرها للمؤرخ والباحث الفلسطيني صقر أبو فخر الذي كان شاهداً على تلك المرحلة بتفاصيلها الدقيقة. اليوم بعد كل المجازر المتنقلة التي ولغت في الدم الفلسطيني في المنفى الفلسطيني، لا نعود إلى تل الزعتر لنفتح بطن التاريخ ونبكي الجراح بل لنفهم، ليكون للضحية صوت ولو انغرزت الخناجر في جلدها، ثم انهالت صواريخ الطائرات على بيتها وترابها وحتى قبرها: لن تموت الذاكرة، لن يموت الشهداء

تقديم وحوار **محمد ناصر الدين**

صقر أبو فخر: مخيّم تلّ الزعتر كان فلسطين الصغرى

■ تمرّ خمسون سنة على سقوط مخيم تل الزعتر. عندما تستعيد تلك الأيام اليوم، هل تراها مجرد محطة دامية في الحرب الأهلية اللبنانية، أم أنّها تمثل لحظة مفصلية في تاريخ الفلسطينيين في لبنان، بل وفي تاريخ القضية الفلسطينية نفسها؟

مجزرة تل الزعتر في 1976/8/12 محطة دامية في الحرب الأهلية اللبنانية، ولحظة مفصلية في تاريخ الفلسطينيين في لبنان في الوقت نفسه. آنذاك، لم يكن الفلسطينيون قد شهدوا مجزرة من عيار مجزرة تل الزعتر على الإطلاق. وفي تاريخ المجازر التي ارتكبها الصهاينة بحق الفلسطينيين، تتقدم مجزرة دير ياسين لتحتل المرتبة الأولى في سنة 1948، وكان عدد ضحاياها لا يتجاوز 115 ضحية، خلافاً للعدد المتداول وهو 240. أما مجزرة تل الزعتر، فبلغ مجموع ضحاياها نحو ثلاثة آلاف. وفيها تجلّت فاشية اليمين اللبناني في أوضح صورها حين عمد عناصر «حزب الكتائب» و«حزب الوطنيين الأحرار» وجماعة «حزب التنظيم» وحزب «حرّاس الأرز» إلى فسخ الرجال والنساء المدنيين الخارجين من المخيم بموجب اتفاق مع الصليب الأحمر الدولي، بربط قدم الضحية بسيارة، وقدمه الثانية بسيارة أخرى، ثم تقلع السيارتان في اللحظة نفسها. وهؤلاء الأوباش كانوا يقتلون بضمير مرتاح وسعيد لأنّ

> **من دون حل قضية فلسطين، لن تحل قضايا بناء الدولة والديمقراطية والتنمية والاندماج الاجتماعي في بلادنا العربية**
>
> **اختطفت ماري روز بولس، وكان الخاطفون عناصر فاشية عذبوها ثم قتلوها**

بعض رجال الدين منحوهم «الحلّة»، أي إنّ قتل الفلسطينيين حلال تماماً. وهذا ما ذكره أسعد الشقيري في كتابه «الحقيقة ولو بصوت مرتجف» (2016) حين نال «الحلّة» (قتل 500 شخص آخر من رجل دين يُعتقد أنه بولس نعمان. هذا الحدث المروّع صار محطة مؤلمة في التاريخ الفلسطيني لأن مجازر كثيرة أخرى، وأكثر إيلاماً، نزلت بالفلسطينيين لاحقاً مثل مجزرة صبرا وشاتيلا، ومجازر غزة بين 2023 و2025. لكن تل الزعتر كان محطة فاصلة في تاريخ الوجود الفلسطيني، لأنّ الفلسطينيين في لبنان أدركوا آنذاك أنهم بلا حماية، وأن الفصائل الفلسطينية ليست قادرة على تأمين حياتهم أمام نازية اليمين اللبناني الذي لم يوفر حتى مخيمات المسيحيين مثل ضبية وجسر الباشا من الحرق والتدمير. وقد مُحي تل الزعتر تماماً، وكسب مالكو أرض المخيم ملايين الدولارات من عمليات البيع اللاحقة. وكان هذا هو أيضاً مصير مخيم جسر الباشا. ومنذ تلك الأيام، بدأت الهجرة الفلسطينية إلى المانيا التي اتسعت بالتدريج نحو دول شمال أوروبا.**

■ كثيراً ما تُختزل تل الزعتر في كلمة «المجزرة»، بينما يغيب السياق الذي سبقها: الحرب الأهلية، الحصار، الاصطفافات الإقليمية والداخلية. كيف تضع ما جرى في إطاره التاريخي؟

سقوط مخيم تل الزعتر يندرج في سياق الحرب الأهلية اللبنانية بالتأكيد؛ تلك الحرب التي أشعل أوارها اليمين اللبناني للقضاء على اليسار اللبناني المتحالف مع «منظمة التحرير الفلسطينية». وكان اليسار الصاعد بقوة في تلك المرحلة يقض مضاجع الدولة اللبنانية التي لم تتورع عن إطلاق النار على مزارعي التبغ في جنوب لبنان، وفي النبطية بالتحديد، وتقتل نعيم درويش وحسن الحايك في 1973/12/24، وعلى تظاهرات عمال مصنع غندور فتقتل في 1973/12/22 العاملين يوسف العطار وفاطمة الخواجة. في تلك الأحوال، اعتقد اليمين اللبناني أنّ في الإمكان إضعاف اليسار اللبناني الذي كان يتزعمه كمال جنبلاط، وفكّ روابطه مع المنظمات الفلسطينية المسلحة، وتطويق تلك الفصائل وحشرها في مناطق مخصوصة في جنوب لبنان (في العرقوب مثلاً). وقد اعتمد اليمين اللبناني بدايةً على الولايات المتحدة الأميركية التي كانت ترسل بواخر السلاح إلى مستودعات الأحزاب اليمينية، وتخزّن حتّى في الأديرة، ثم اعتمد على إسرائيل ابتداءً من سنة 1976 فصاعداً. وقد ساعدت الحوادث التي عصفت بالمشرق العربي بعد حرب 1973 في إيجاد تحالفات جديدة لليمين اللبناني، خصوصاً مع أفتراق السياسات السورية عن مصر بعد اتفاقية سيناء في عام 1975، واستئناف سوريا عن حضور مؤتمر جنيف في سنة 1974. أراد اليمين اللبناني أن يحكم مناطق نفوذه على طريقة إسبارطة: قتل الزعتر مساحة صغيرة في محيط مسيحي تسكنها أقلية فلسطينية، ثم إنّ 60% من السكان كانوا غير فلسطينيين (لبنانيون من عرسال وسوريون وأكراد)، وهؤلاء شكلوا العمالة الرخيصة التي تزود معامل المكلس والدكاونة بالأيدي العاملة. ولم يكن سكّان تل الزعتر يرغبون في أي قتال لأنهم يعرفون النتائج سلفاً. لكن العقل الفاشي لم يتوقف عن استفزاز سكان المخيم في عهد وليم حاوي، واختطاف بعض الناشطين في المخيم. وإلا كيف نفسّر تطهير المنطقة من جميع سكّانها غير المناصرين لليمين مثل النبعة والمسلخ والكرنتينا وحارة الغوارنة وسبنية؟ وفي هذا السياق، جاء إسقاط مخيم تل الزعتر ومعه جسر الباشا، وكاد مخيم ضبية أن يلقى المصير نفسه. وفي أي حال، فإن مجزرة تل الزعتر، على دمويتها المروعة، كانت واحدة من مجازر كثيرة مثل عين الرمانة والصفرا وإهدن وعينطورة والسبت الأسود ودير بلا والفياضية وكفرمتى والشحار وغيرها. أما مجزرة الدامور البشعة، فهي استثناء له سياق مختلف تماماً وقوام سياسي وعسكري آخر.

■ يُقال إن تل الزعتر شكّل نقطة تحوّل في علاقة الفلسطينيين بلبنان. هل توافق على هذا التوصيف؟ وكيف تبدلت صورة الفلسطيني في المخيال اللبناني بعد صيف 1976؟

صقر أبو فخر

لا أعتقد أنّ ما وقع في مخيم تل الزعتر شكّل نقطة تحول في علاقة الفلسطينيين بلبنان، ولم تبدّل جوهرياً صورة الفلسطيني في المخيال اللبناني البتة، لأنّه لا «مخيال» لبناني موحّداً تجاه الفلسطينيين. فصورة الفلسطيني في جنوب لبنان أو في بيروت أو في شمال لبنان تختلف في الأصل عن صورته في كسروان مثلاً. الفلسطينيون في جنوب لبنان كانوا مندمجين مع أهل الجنوب بالزيجات المتبادلة والجوار والمصالح، فضلاً عن انتماءاتهم السياسية المقاربة كالناصرية والشيوعية والبعث والقوميين العرب، وتظللهم جميعاً قضية فلسطين. أما الفلسطيني في كثير من مناطق جبل لبنان الشمالي، فلم يكن البيفا إلى حد بعيد، في ما عدا الاتجاهات السياسية المعادية لإسرائيل كالسوريين القوميين والشيوعيين، وهم أقلية في أي حال. كانت صورة الفلسطيني لدى اليمين اللبناني أنه غريب، ومتمرّد على السلطات اللبنانية منذ انتفاضة المخيمات ضد عسف المكتب الثاني في سنة 1969. وكانت صور اليمين اللبناني لدى الفلسطينيين ملطّخة بالشك والتعاون مع الأحداث، مع الغربي، وهو ما كان جلياً في حوادث سنة 1958 إبان حكم كميل شمعون الذي وقف ضد جمال عبد الناصر الذي ناصره الفلسطينيون واللبنانيون معاً. ولا أظن أنّ هذه الصور المتناقضة قد تبدلت كثيراً لاحقاً، لأنّ الانقسام اللبناني ما برح يتجدد في كل حقبة ومرحلة.

■ إلى أي حد يتحمل النظام اللبناني آنذاك، والفصائل الفلسطينية، والقوى اللبنانية المتحالفة، والدول العربية، والقوى الإقليمية، مسؤوليات متفاوتة في الوصول إلى تلك النهاية الكارثية؟

بالتأكيد يتحمّل النظام اللبناني مسؤولية مباشرة عن مأساة تل الزعتر، فهو سمح للميليشيات اللبنانية باستخدام بواخر السلاح، وأسهم في تدريب تلك الميليشيات على الأسلحة المستوردة، ودعم تلك الميليشيات سراً وعلانية، وتولى مدير المخابرات آنذاك جول بستاني، الوثيق الصلة بالاستخبارات الأميركية، تلك المهمة. أما مسؤولية المنظمات الفلسطينية، فهي مسؤولية تقصيرية، وليست مباشرة، لأنها حاولت بالفعل إنقاذ مخيم تل الزعتر بشتى الوسائل، لكنها فشلت جراء تطويق المخيم من جميع الجهات، وكان الوصول إليه صعباً جداً. لكن ربما كان ممكناً، بقراءة استرجاعية، أن يُنقذ المخيم بالسياسة. غير أن السياسة كانت معطلة، والمقصود أنّ سوريا كان في إمكانها تجنيب تل الزعتر ذلك المصير الرهيب بالضغط على اليمين اللبناني ومنعه من تطبيق فاشيته على المخيم المحاصر والمعزول. لكنّ دروب السياسة بين ياسر عرفات وحافظ الأسد كانت مقطوعة في تلك الحقبة جراء اصطفاف أبي عمار إلى جانب كمال جنبلاط، وموافقة السياسية الراديكالية وفي رأسها معارضته لدخول الجيش السوري إلى لبنان حين كانت قوات الحركة الوطنية على وشك تحقيق انتصار تاريخي على قوات اليمين. وجاء دخول الجيش السوري إلى لبنان ليجهض تلك الفرصة.

■ كيف تقرأ، بعد نصف قرن، الدور السوري في حصار تل الزعتر وسقوطه؟ بصريح العبارة، هل أسقط السوريون تل الزعتر؟

لم يكن للقوات السورية أي شأن في إسقاط مخيم تل الزعتر، لأنّ القوات السورية بكل بساطة، لم تكن قد وصلت إلى منطقة المتن الشمالي. في 1976/8/12، كانت القوات السورية في المنطقة الواقعة بين ضهر البيدر وصوفر، فيما سلاحها المدفعي يتمركز في منطقة سعدنايل في البقاع. ولو افترضنا أن المدفعية السورية قصفت المخيم في تلك الأثناء، فإنّ القذائف كانت ستتساقط بعيداً منه لأن مدى المدفعية السورية ما كان ليصل أبعد من عشرين كيلومتراً، عدا عن أن الدقة في التصويب من هذه المسافات كانت معدومة لأسلحة ذلك الزمان. أما روايات شهود العيان التي ذكرت أنّ كثيرين شاهدوا دبابتين من طراز T54 تقصفان المخيم من دير مار روكز، فهي صحيحة تماماً، لكن رواية شهود العيان تحتاج دائماً إلى التحقق، وإلا تصبح خادعة. فالدبابات من طراز T54 التي كانت تقصف مخيم تل الزعتر جرى التأكّد بصورة قاطعة أنها من غنائم الجيش الإسرائيلي في حرب 1973. وقد أرسلت إسرائيل دبابات روسية سوفياتية الطراز إلى الميليشيات اليمينية («الكتائب » و «حزب الوطنيين الأحرار»)، وهو ما اعترف به بنيامين بن اليعازر (فؤاد) المسؤول عن العلاقات العسكرية بين «الجيش» الإسرائيلي وأحزاب اليمين في تلك الفترة، علاوة على وثائق كثيرة تؤكد هذا الأمر. غير أن النظام السوري آنذاك جراء صدامه مع «الحركة الوطنية اللبنانية» بقيادة كمال جنبلاط، ومع «منظمة التحرير الفلسطينية» بقيادة ياسر عرفات، أسهم في إضعاف الجهد العسكري للمنظمات اليسارية المناوئة لليمين اللبناني، وبصدامه مع «الحركة الوطنية اللبنانية» و«منظمة التحرير الفلسطينية»، قلب ميزان القوى إلى مصلحة اليمين اللبناني الذي استغل الصراع السوري - اللبناني - الفلسطيني لمصلحته موقتاً.

■ هناك من يرى أنّ «منظمة التحرير» ارتكبت أخطاء سياسية وعسكرية أسهمت في تعقيد وضع الفلسطينيين في لبنان، بينما يعتبر آخرون أنّ الفلسطينيين كانوا يدفعون ثمن صراعات لم يصنعوها. كيف تنظر إلى هذه المسألة اليوم؟

القول إنّ «منظمة التحرير الفلسطينية» ارتكبت أخطاء جسيمة في لبنان قول صحيح بالتأكيد. ففي السياسة، خصوصاً السياسة المسلحة، على المرء ألا يسير في خط مستقيم دائماً لأنه ينتهي في حقل الغام، ولا بد من أن يسير متعرجاً. لقد وقعت الفصائل الفلسطينية في أفخاخ كثيرة في لبنان، ومعظم القادة الفلسطينيين لم يمتلكوا دراية ثاقبة في الأحوال اللبنانية، فانزلقوا إلى التجريبية المفرطة. ثم إنّ الساحة الفلسطينية كانت ملجوءة بمعوقات شتى، منها أنّ القرارات لم تكن تتلاءم، في كثير من الأحيان، مع سياسات الدولة اللبنانية، ولا سيما القرارات العسكرية والأمنية، ومع سياسات الأحزاب اللبنانية. ومع ذلك، حاول ياسر عرفات ألا ينجرف في أتون الحرب الأهلية، وكثيراً ما حاول إقناع الرئيس سليمان فرنجية والياس سركيس علاوة على كمال جنبلاط وبيار الجميل، وحتى الأباتي بولس نعمان بأنّه لا يريد من لبنان غير مسالتين: أن تكون بيروت قاعدة إعلامية وسياسية لخدمة قضية فلسطين، وأن تكون مناطق محدودة من الجنوب اللبناني قاعدة عسكرية له، إذ تمنحه هاتان المسالتان أوراقاً قوية عندما يحين موعد تسوية القضية الفلسطينية. وجهد ياسر عرفات في تطمين المسيحيين إلى أنه لا يرغب، بل يرفض، أي وطن بديل من فلسطين، وأنه لا يريد أن يكون حليفاً لأي طرف لبناني في مواجهة طرف آخر. وقد أقام ثلاثة من رجال الأمن أقنية سرية وعلنية مع اليمين اللبناني، وهم أبو حسن علي سلامة ونزار عمار (نزيه حلمي المباشر) وأبو الرحيم (عطا الله عطا الله) لتطمين المسيحيين. وبهذه الرؤية، لم ينخرط ياسر عرفات جدياً في الحرب الأهلية إلا في أوائل سنة 1976 لأنّ تطورات الميدان العسكري ارغمته على زجّ القوات العسكرية في القتال بعد سقوط مخيم ضبية ومخيم جسر الباشا، ثم البدء بمحاصرة تل الزعتر. فصارى القول إنّ سياسات منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان كانت تجريبية ومتقلقلة وتتأثر بمطالب الحلفاء، وهو ما أسهم في تعقيد أوضاع الفلسطينيين التي كانت معقدة جداً منذ ما قبل عام 1969.

■ هل لك أن تصف لنا المخيم آنذاك؟

مخيم تل الزعتر مثل أي مخيم فلسطيني آخر كان يمثل فلسطين الصغرى. وأحياء المخيمات كانت تمثل رمزيًا القرى الأصلية للاجئين. ففي المخيم نفسه تجد أحياء عائلية متجاورة مما جعل الترابط العائلي المتمادية في غزة. لكنّ المشترك بين هذه المجازر هو الفلسطينيون. هؤلاء لم يندثروا بعد عام النكبة في عام 1948، بل بادروا إلى تاسيس منظمات مسلحة للعودة إلى وطنهم، قاتلوا من الحدود العربية، ومن البحر، ومن الجو أيضاً. أشعلوا انتفاضتين كبيرتين. أخطاؤا وأصابوا، غير أنهم لم يستسلموا وما زالوا في أرضهم أو في منافيهم يعملون من أجل العودة، والعودة دونها موت وعذاب وجنون. كانّ الفلسطيني كي يؤكد هويته عليه أن يموت، وأن يدافع عما بقي من أرضه. من دون حلّ قضية فلسطين حلاً يتلاءم مع ما بقي من أهداف تاريخية للشعب الفلسطيني، لن تحل أي قضية من قضايا العرب، لا قضية بناء الدولة، ولا قضية الديمقراطية، ولا قضية التنمية، ولا حتى قضايا الاندماج الاجتماعي.

■ من يقرأ شهادات تلك المرحلة يلاحظ أنّ الحرب لم تنتج ضحايا فقط، بل تركت أيضاً ندوباً أخلاقية لدى الجميع. في رأيك، هل يمكن للتاريخ أن يكون وسيلة للمصالحة، أم أنه سيظل ساحة لتجديد الخصومات؟

لم تترك الحرب الأهلية ندوباً بالتدريج هي التي غيّرت الروايات الشفوية، فشاهد العيان ليس مؤرخاً، وليس صاحب القرار السياسي في تلك الحقبة، وشهادته بعتريها في أحيان كثيرة الكذب والافتراء واختراع الوقائع تبرئةً للذات أو خدمة مأجورة للغير. والبحث في وقائع مجزرة تل الزعتر يشبه عملية صنع الدبس، فهو يحتاج طنًا من الخروب لاستخلاص كيلو من الدبس. إن الحكايات اليمينية الهذيانية عما يستحضرون عبارة «بالعودة» أو «بالنصر» في ختام زياراتهم إلى الجيران والأقارب.

■ بعد خمسين عاماً، هل أنصفت الكتابة التاريخية العربية ما جرى في تل الزعتر؟ وما الذي أضافته الشهادات الشفهية وروايات شهود العيان إلى فهمنا للمجزرة؟

كُتب الكثير عن تل الزعتر وعن سقوطه المؤلم، لكن كثيراً من المرويات كانت تشوبها حكايات غير صحيحة على الإطلاق. خصوصاً روايات شهود العيان الخطرة جداً على صدقية التاريخ ووقائعه. ولا ريب في أنّ بعض تلك الشهادات التي تتملأ بها منصات اليوتيوب مدفوعة لمناقضة الحقائق التي باتت معروفة تماماً بعد خمسين سنة على تلك المجزرة الرهيبة، وبعضها مرصود لخدمة جهات سياسية يهمها تبييض صحائفها السيئة إبان الحرب الأهلية. لم يكن علم التاريخ يحفل بالتاريخ الشفوي، وكان يستعمل التاريخ الشفوي للاستئناس فقط. لكن التاريخ الشفوي بات اليوم أحد مصادر التاريخ، وإن لم يكن مصدراً رئيساً. فالمصادر الرئيسة هي الوثيقة أو النقش أو الوقائع الثابتة الصحيحة. ومهما يكن الأمر، فإن الروايات الشفوية التي تتحدث عما جرى في تل الزعتر لم تغيّر الحقائق، بل إن الحقائق التي كانت تظهر المجازر المهينة للبشرية والإنسانية الشفوية، فشاهد العيان ليس مؤرخاً، وليس صاحب القرار السياسي في تلك الحقبة، وشهادته بعتريها في أحيان كثيرة الكذب والافتراء واختراع الوقائع تبرئةً للذات أو خدمة مأجورة للغير. والبحث في وقائع مجزرة تل الزعتر يشبه عملية صنع الدبس، فهو يحتاج طنًا من الخروب لاستخلاص كيلو من الدبس. إن الحكايات اليمينية الهذيانية عما يستحضرون عبارة «بالعودة» أو «بالنصر» في ختام زياراتهم إلى الجيران والأقارب.

■ إذا قارنا تل الزعتر بمحطات فلسطينية أخرى مثل دير ياسين أو صبرا وشاتيلا أو جنين أو غزة اليوم، ما الذي يجعل لكل مأساة خصوصيتها، وما الذي يجمع بينها في التجربة الفلسطينية؟

نعم، لكل مأساة خصوصيتها المرّة. مجزرة دير ياسين وشقيقاتها كانت غايتها تهجير الفلسطينيين من بلادهم. مجزرة صبرا وشاتيلا كانت عملاً حقيراً من أعمال الضباع المأجورة ومتعاطي الكوكايين، والغاية الانتقام. لكن، الانتقام ممنْ؟ من الضعفاء والمساكين والنساء والشيوخ والأطفال. وهذه هي صورة المقاتل اليميني الذي لم يربح معركة واحدة طوال الحرب الأهلية على الإطلاق، لكنه نجح في ارتكاب أخلاقية بحسب تعبيرك، بل أثلاماً عميقة في أجسادنا. اليوم، بعد خمسين سنة أو أكثر على اندلاع الحرب الأهلية، ما برح كثير من القوى السياسية التي كانت ضالعة في تلك الحرب، وولغت في دماء الناس، تتبجح بما فعلت، وتنسج خرافات عما صنعت، فهي التي قاومت «الاحتلال السوري»، وأخرجت الجيش السوري من لبنان، فيما يعرف كل واحد عاش تلك الحقبة أنّ أوائل المتبجحين كانوا مثل حملة أباريق الماء في أعراس القرى لدى السوريين. والجميع يعرف أن إسرائيل هي التي أخرجت القوات الفلسطينية من لبنان، واقتصر دور هؤلاء على تنفيذ مذبحة صبرا وشاتيلا الشنيعة. وبهذا المعنى، فإن التاريخ ليس وسيلة للمصالحة قط، وليست هذه مهمة التاريخ في الأساس. الغاية من التاريخ هي المعرفة والمتعة فحسب.

■ ماذا بقي من تل الزعتر في ذاكرة صقر أبو فخر؟ وما هو الدرس الأخير من المذبحة؟

صار مخيم تل الزعتر جزءاً من الذاكرة الموشومة بالنار. وعندما تعود بي الذاكرة إلى تلك الحقبة المشؤومة، يعبر في خيالي اسم امرأة محددة هي ماري روز بولس، تلك المرأة النادرة المعطاءة التي أسست في بيت شباب معهداً لتعليم الصم والبكم، وكانت منخرطة في مساعدة أهالي المخيمات، وبالتحديد أهالي مخيم تل الزعتر. اختطفت ماري روز بولس، وكان الخاطفون عناصر فاشية من «حزب الكتائب»، وهؤلاء عذبوها ثم قتلوها. كانت ماري روز بولس المثال الإنساني الراقي، وكان الخاطفون المثال الحيواني الكاسر. ماري روز بولس، اللبنانية من أصول سورية، قتلت غدراً، لكن اسمها البارق ما برح ينير مكامن الإنسانية في دواخلنا، فيما القتلة انتهوا بلا اسم كما تنتهي المياه المبتذلة في مجاريها المنتنة. أتذكر قصة ماري روز بولس في ما كتبته عنها إيتيل عدنان، وهي من أصول سورية أيضاً (والدها سوري وأمها يونانية، وهي مولودة في بيروت)، في روايتها «ست ماري روز» (1977). والمؤكد لديّ أنّ السكاكين والبنادق والحرب المسمومة لا يمكنها أن تتغلب في نهاية المطاف على الفكر والثقافة والفنون، وعلى الإنسانية المفكرة والإنسانية المتألمة. وما هو محسوم لديّ أنّ ماري روز بولس انتصرت بلا شك على الفاشيين، وإن كانت محكمة العدالة لم تنعقد حتى الآن. وهي حال جميع شعوب العالم التي ما انفكت تقاسي الاحتلال والعسف والاستبداد.

من كتاب «طريق تل الزعتر» (مركز الأبحاث الفلسطينية) لهاني مندس ـ الإعداد الفني للناحتة الراحلة منى السعودي ـ تقديم الشاعر الراحل محمود درويش.

نصف قرن على المجزرة

يوميّات الحصار والموت

تقول الحكاية إن الرشاشات ذابت مقابضها في أيدي المقاتلين في «تل الزعتر»، فوق تلك التلة المكونة من براكسات التنك وسقوف الزينكو شرق بيروت، حيث كانت تقوم «عاصمة الفقراء»، سكنها العمّال والكادحون والمياومون من جيش البروليتاريا الذي كان يرفد المدينة كل يوم بالوقود البشري في مصانعها ومعاملها وبرغدي طاقتها بلحمه الحي وعرق جبينه لينام متعباً في المساء، وقد امتصّ ساداتها وساستها فائض قيمة عمله وتعبه ودمه. يقرّر الفاشيون في حينها من اليمين اللبناني العنصري ان لا مكان فوق تلك الارض للاجئ، وان الفلسطيني الطيب هو الفلسطيني الميت، ذلك الفلسطيني الذي تداولته الميليشيات اليمينية ذلاً وهواناً بعد «المكتب الثاني» الذي كان ينكّل به عند دخوله وخروجه إلى جحيمه اليومي في مخيمات الصفيح، بعدما هجّره اعتى واشرس مشروع استعماري من ارضه وبيته وحقله ومدينته وقريته في عام النكبة. حصار طويل فصمود اسطوري ثم مجازر يندى لها الجبين، كانّ ميكانيزمات الإبادة تطيّف بحذافيرها على كل من يقول «لا» بوجه سادة هذا العالم المستكبر واذيالهم، واولئك الذين حوصروا وقاتلوا ثم ذبحوا بعد إعطائهم الامان قبل نصف قرن داخل المخيم وعلى ابوابه هم من تلك الفئة القليلة التي نستذكرها اليوم لانها حملت لواء الرفض للمذلة وقاتلت حتى اخر الطلقات. كان النجدة القادمة من تخوم «مستديرة الصياد» هي النجدة ذاتها التي انتظرتها امهم في فلسطين من جحافل جيوش العرب. كان عهد الامان يشبه ما اعطاه العدو لقوافل النازحين والاطفال والنساء عند المعابر وفي اروقة المستشفيات في غزة ليبيدهم عن آخرهم. كان مصيدة الماء والقتلى المكومين فوقه هي المصيدة ذاتها.

لكن بعد نصف قرن وخمسين قتيلاً فوق الماء، سيبقى درس الرفض ذاته حتى نهاية التاريخ: ها قد ازف الوقت، واكتملت كربلاء، فلتكن كما ارادها الاقوياء.

(كلمات)

إسماعيل شموط (1930–2006). «من دون عنوان» (من سلسلة «تل الزعتر»). الوان مائية، حبر وغرافيت على ورق. 49 × 36 سم. 1976

الطعام

كنا نأكل العدس ولا شيء غير العدس. نأكله إذا توفر الماء وإلا بقينا من دون أكل. وقبل الحصار الفعلي، كنا نشتري الأرز والسكر والطحين من أشخاص ياتون من خارج المخيم باسعار مرتفعة جداً. لكننا كنا مضطرين لذلك. فالحصار لم يكن فقط في الشهرين الماضيين. نحن عانينا من الحصار طوال 16 شهراً ولم يكن يدخل تموين إلى المخيم إلا في بعض حالات الانفراج. وهكذا بقينا على العدس طوال 52 يوماً وقررنا أن نأكل العدس حتى لا يبقى عدس. فقد كنا مصممين على القتال حتى نموت أو نعيش حياة الأحرار.

(عجوز رفض الكشف عن اسمه).

مصيدة المياه

لم يبق سوى قسطل وحيد قريباً من مناطق الفاشيين، وكانت المياه تنقطع عنه طوال ساعات النهار وقسماً من الليل. وكان الناس يقفون في الصف قرب القسطل منذ الساعة السادسة مساء ينتظرون مجيء المياه التي قد تاتي في الساعة العاشرة، أو في منتصف الليل لتنقطع من جديد في الساعة الرابعة صباحاً. وبالطبع، كان الفاشيون يعرفون مصدر المياه وقد جعلوا منه مصيدة للناس. في إحدى الليالي، جاءوا بعشرين شهيداً مرة واحدة من الذين ينتظرون قطرة الماء! العدس يحتاج إلى مياه ليُسلق، وحين لم يكن في استطاعة الناس أن ياتوا بالماء، كانوا يقضون ذلك اليوم بلا شرب وبلا اكل. توفي اكثر من خمسين طفلاً نتيجة اختفاء الحليب والماء.

(عدنان عقلة، «جريدة المحرر»، آب/ أغسطس 1976).

مصادر الطاقة

في أيام الحصار الأخيرة، قطعت الكهرباء فكنّا نصنع الشمع للمستشفى، وحصلنا على الشمع الخام من مستودع قريب وكان ابني يحضره ونذوبه على النار ثم نصبّه في علب اللحم والسردين ونضع فيه خيطاً. وبعد جفافه، نقص العلبة ونخرج الشمع منها. وأخيراً تقدمت صناعتنا، فصرنا نحضر صور الأشعة ونلفّها ونربطها ثم نصبّ الشمع فيها، وبعد فكّها نحصل على شمعة جميلة. وكنا نتعذب كثيراً للحصول على الكاز في بادئ الأمر وازداد الأمر صعوبة بعد أن نفد الكاز، فصرنا نبحث عن بقايا الخشب في المناشر. وأخيراً، خطر في بالي أن أرسل الشمع الخام إلى الفرن في المخيم فوافق العامل هناك بعدما علم الهدف من ذلك. وكنا ننتج في اليوم من 50 إلى 60 شمعة.

(سعاد صالح، من سكان المخيم).

التبغ

كان الدخان مفقوداً تماماً. أنا كنت أدخّن الأزهار. فقد جمعت كل ما حرقته القذائف من ورد وقرنفل وغاردينيا وفل، كنت أفتته وألفه بأيّ ورق عادي. كان الشباب يقصدونني قائلين إن لديّ أجود أنواع الدخان المصنوع.

(أحمد القمح، من سكان المخيم).

الطبابة

الأطباء لم يتجاوز عددهم الأربعة: الدكتور عبد العزيز اللبدي، والدكتور يوسف العراقي، وطبيبان سويديان. (بلغ عدد الجرحى الذين استقبلتهم خلال 53 يوماً حوالى ثلاثة آلاف جريح اضطروا إلى نقل المستشفى بعدما أصبح غير صالح ومسيطراً على كافة مداخله بالنيران، وتوزيع إلى 14 نقطة إسعاف في مختلف الأماكن السكنية). كنا ننتقل من نقطة إلى أخرى تحت وطاة القصف والنيران لإنقاذ الجرحى. دمروا مستودع الأدوية بقذائفهم. استخدمنا الشراشف والقمصان وقماش الدبولين بدل الشاش. اعتمدنا الطريقة الأميركية لمعالجة الجروح بإبقائها مفتوحة. جرح معظم الممرضين والممرضات أثناء تأدية عملهم. واستشهدت ممرضة، وكانوا جميعاً يتبرعون بالدم. كنا نعالج مختلف الجروح بالماء والملح، والإصابات التي في المعدة والرأس، كان يموت أصحابها بسبب عدم وجود أدوية ولا غرفة عمليات صالحة ولا أدوات تعقيم.

(د. عبد العزيز اللبدي، د. يوسف العراقي، طبيبا الهلال الأحمر الفلسطيني، من وقائع المؤتمر الصحافي - 13 - 8- 1976).

مشاهد من المعركة

«فتح» كانت في مخيم جسر الباشا والقلعة وقرب مدرسة جنين التابعة للأونروا وفي تلة المير التي نصبوا فوقها رشاشاً من عيار 22 ملم، إضافة إلى رشاش للصاعقة من عيار 14,5. «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» كانت متمركزة في دير الراعي الصالح الذي يشرف على محور سن الفيل وحرش تابت، أو محور معمل سليك الذي ما زال قائماً حتى اليوم. أما القيادة العامة، فتموضعت في التلة المقابلة لبلدية الدكوانة، وجبهة التحرير العربية مقابل معمل الدباس. أما الصاعقة، فقرب مصانع المكلس والمنصورية، و «الجبهة الديمقراطية» رابطوا عند محمر الخروبة ومحور الكنيسة الأنطونية وشارك مقاتلو «الحركة الوطنية اللبنانية» على جميع المحاور.

كانت إذاعة «الثورة» تناشدنا بالصمود وتقول لنا إنّ القوات المشتركة صارت عند مستديرة الصياد وإنهم قادمون لنجدتنا عبر خرق من محور الشياح عين الرمانة. كان عدد المقاتلين المدربين حوالى 550 مقاتلاً والعتاد الموجود مدفعان من طراز مط ومدفع من عيار 14,5 ومدافع هاون 60 و82. عدد القوات التي هاجمتنا تخطى 7 آلاف مقاتل ومعهم مرتزقة فرنسيون من حوالى 80 شاباً فرنسياً كانوا متمركزين خلف حاجز للقوات المشتركة وتبجحوا في حديث موثق لوكالات الصحافة بأنهم قادمون في حملة صليبية لتطهير لبنان من الشيوعيين. كان الفاشيون مجهزين بدبابات ومدافع عيار 155 وصواريخ على أنواعها، إضافة إلى غطاء مدفعي من الجيش السوري. كانوا قد أسقطوا في 24 تموز (يوليو) بناية على رؤوس المحتمين في ملجأ أسفلها بقذائف من عيار 106 و155، ما أدى إلى جرح واستشهاد 550 شخصاً، إضافة إلى مجزرة في ملجأ جورج متّى. ظللنا نسمع استغاثات النساء والأطفال لأيام عدة. هاجمونا صباح ذلك اليوم من كافة المحاور واستطاعوا الوصول إلى أطراف المخيم ودخلوا إلى بعض الأحياء، ودارت اشتباكات عنيفة مع القوات المشتركة، وقد أبلى جميع المقاتلين حسناً في الدفاع عن المخيم لا سيما أبطال «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» الذين استشهدوا جميعاً. أذكر منهم الرفاق فتحي عجاوي، وصبحي معروف وعدنان الخطيب، والكثير من عناصر الفصائل الأخرى انسحب عبر الجبال.

(من شهادة مقاتل رفض الكشف عن اسمه. شهادته مسجّلة لدى «كلمات»).

مشاهد الإخلاء والمجزرة

الفسخ

عندما خرجنا من المخيم نهار الأربعاء في الليل مع من نزحوا من جيراننا اللبنانيين، أخذوا جميع الرجال الفلسطينيين وزوجي بينهم وبقينا حتى اليوم التالي الخميس الساعة الثامنة مساء. أخذوا الشباب وصفوهم صفاً واحداً ووجوههم للحائط وبدأوا يضربونهم بالمدقات على ظهورهم حتى وقعوا على الأرض مغمياً عليهم وأمروا البعض بأن يركع والبعض الآخر أن يقف وظهره إلى الحائط وأشعلوا فيهم النيران، ورشوا الراكعين أمام الواقفين بعدما وضعوا قضبان الحديد في النار حتى احمرّ لونها فوضعوها بشكل صليب على بطونهم حتى يموتوا واقفين. وبعدها ربطوهم بحبال وربطوهم بالسيارات وأخذوا يطوفون بهم الشوارع والنساء في تلك المنطقة يزغردن لهم ويغنين.

(فاطمة محمود، من سكان المخيم).

بقر بطون الحوامل

نزلنا إلى الدكوانة وعلى طول الطريق، كانت تنتشر حواجزهم وفي كل حاجز كانوا يأخذون الرجال ويكيلون الشتائم للنساء ويقومون بضرب من يختارون فكانوا يقتلون الرجال أمامنا وكذلك بعض النساء. وعندما سألوني عن جنسيتي قلت لهم إنني لبنانية حتى استطعت النجاة منهم. تابعت سيري قليلاً مع أهلي وإذا نحن أمام منظر لا يتصوّره عقل: إذ قام الفاشيون ببقر بطن امرأة حامل في شهرها الأخير، فخرج الطفل أمامنا من بطن أمه، وماتت المرأة فوراً وذعر الجميع ولم يستطع أحد النظر إلى الخلف لهول وبشاعة المنظر.

(فوزية شحرور، من سكان المخيم).

شهادة مراسلة أجنبية

رأيت الرجال في تل الزعتر، يموتون تحت الشمس، في طرقات المخيم الضيقة، في الساحات أمام الجامع على عتبات البيوت، يموتون على حافة المجاري.. في كل مكان. كانت النساء يصلن بيروت باكيات. على مستديرة أمام المخيم، طلبنا الإذن بالدخول قالوا: ممنوع. كان هنالك كثير من المسلحين، جنود بركات وسيارات محملة بأشياء مختلفة، ماكينات خياطة، راديوات تلفزيونات ومقاعد مكوّمة فوق سطح السيارات، كلها تأتي من تل الزعتر. بعد الانتصار والمجزرة، كانت لحظة النهب. فجأة بدأ الرجال يطلقون النار في الهواء. المشاجرات انفجرت بين هؤلاء الذئاب. في مركز النمور الأحرار في جسر الباشا، أعطونا دليلاً اسمه ديان، كان أعور، وكان هذا الاسم يسرّه. آخر دعا نفسه رومل، ديان سلمنا لاثنين فاشيين آخرين. عدنا إلى الساحة في سيارة وأخذنا الطريق نحو المخيم. جثة ترتمي في الأرض. لم أستطع أن أحدق بها. كان ينقصها شيء ما. كانت في منتصف الشارع والسيارات تمر فوقها. دخلنا المخيم بين الأنقاض. في المخيم، كانت تتحرك أشكال غريبة، تغطي وجهها بكمامات جراحين، كانوا يدخلون البيوت ويخرجون منها محمّلين علب الصابون، أوانٍ زجاجية، فوطاً وأباجورات، كانوا يضعون غنيمتهم على العتبة ويعودون ثانية للتنقيب... اليوم يوم النهب في تل الزعتر. أنظر إلى الأرض، أرى جثة امرأة عيناها منتفختان. نمشي نحو ساحة صغيرة، كانت مدرسة. نرى رجالاً مسلحين. مرافقونا يحيّونهم قائلين: «يعطيك العافية... الله معك!». على بعد أمتار، جثة لرجل وأخرى لطفل. كانتا تتحلّلان تحت الشمس. الذين معي لم يكونوا يرون شيئاً، كانوا يبدون أنهم مرتاحون، يثرثرون ويبعثرون التحيات، كنت الوحيدة التي أرى. هناك المستشفى. من الطابق الأول، نرى المخيم سطوحه مهدمة، منهارة ورائحة الموت مباشرة قوية، جثث الأمس تحلّلها الشمس القوية اليوم. نترك الجامع ونمشي في طريق ضيقة. الجثث في كل مكان، أكثر من أن تحصى. الرجال ذوو الكمامات يمشون فوقها. وأيديهم محملة... نأخذ السيارة ثانية ونقطع طريقاً أعرض ترتمي على جانبيها الجثث، على اليمين حفرة، الفاشستي الذي يجلس إلى جانبي طلب مني أن أنظر. كثير من الجثث الممتدة ممن قتلوا بالأمس كما قال لي الفاشستي، ويضيف بأنه يوم أمس قتل 40 شخصاً ليثأر لأخيه. نتقدم في خط متعرج. بين الجثث. يقترح الفاشستي الذي يقود السيارة أن نمرّ فوق واحدة منها، كنا نقول: لا، رجاءً. في كل مكان، رجال مسلحون مع غنائمهم. أحدهم يجلس فوق حقيبة ويحمل بين يديه كأس بطولة... الفاشستي يقول: «ذكرى من تل الزعتر...» الشخص الذي يجلس جانبي يقول: «الحرب قاسية» وأنه لا يرى عائلته، ولكن بما أنهم قد كسبوا المعركة كما ترون سيداتي وسادتي، لم يعد من فلسطينيين في تل الزعتر. الصحافة هنا من أجل أن تثبت ذلك، ويفسر لنا كيف تقدموا، جعلوا الناس يخرجون من الملاجئ والبيوت المهدمة ثم فصلوا اللبنانيين عن الآخرين، ثم فصلوا الفلسطينيين إلى قسمين: النساء والأطفال على جهة، والرجال للقتل. (شهادة ريتا بورينا، من وكالة الصحافة الإيطالية).

المراجع: هاني مندس، «طريق تل الزعتر»، «مركز الأبحاث الفلسطينية»، 1977، وقد أعيدت طباعة الكتاب بإشراف وتوقيع المؤلف في مكتبة «كتابي». الحمرا الأربعاء الفائت، في ذكرى نصف قرن على المجزرة.

لمحة عن المخيم

- أنشئ مخيم تل الزعتر عام 1950، وهو يقع في المنطقة الشرقية الشمالية من ضواحي بيروت. وتعتبر هذه المنطقة التي تحيط بالمخيم من أهم المناطق الصناعية في لبنان. كانت تضم عام 1968 حوالى 29% من عدد المعامل في لبنان، و22% من عدد العمال، و23% من رأس المال الصناعي اللبناني.
- تبلغ مساحة المخيم الإجمالية 295 دونماً. بلغ عدد سكان المخيم عام 1976 حوالى 17 ألف فلسطيني. وكان يضم عدداً كبيراً من اللبنانيين، وخاصة من أهل الجنوب وبعلبك.
- بدأ الحصار الفعلي للمخيم يوم 12 آذار (مارس) 1976، وبدأ الهجوم العسكري اليميني عليه صباح يوم 22 حزيران (يونيو) 1976، وتعرض لـ 72 هجوماً عسكرياً وصمد لـ52 يوماً.
- سقط على المخيم ما يقارب ستين ألف قذيفة، ودمرت معظم منازله من براكسات التنك والواح الزينكو في الأيام الأولى من الهجوم.
- مات تحت أنقاض أحد الملاجئ المنهارة قرابة 400 نسمة.
- أقام اليمينيون مذبحة مروعة يوم إخلاء المخيم، تحت رعاية الصليب الأحمر الدولي، ذهب ضحيتها ما بين 1500 إلى 3000 شهيد أو مفقود من المدنيين العزل والمقاتلين.

نصف قرن على المجزرة

كيف كتب الشعراء المجزرة؟ هل من كلام يقال فوق الجثث والدم حين لم يترك القتلة حائطاً واحداً لحباك الغسيل او ليلة للغناء؟ كيف كانت هزات المذبحة الارتدادية في نصوص الشعراء من لبنان وفلسطين إلى العراق والقاهرة وهم يودعون الفتاة المذبوحة تنتظر الباص عند مفرق تل الزعتر فياتيها الموت بفأس في ظهرها من الخلف؟ وكيف عاش الاطفال ايضاً ذلك اليوم الطويل الذي صاروا فيه رجالاً مرة واحدة، حين فصلوهم عن آبائهم وإخوتهم وأدخلوهم إلى مسرح الرعب الكامل، مع استثناء وحيد: لم تكن صبغةً حمراء تلك التي لطخت الوجوه، بل دمًا حقيقيًا وحدقات عيون تُحتز من المآقي لتوضع في القلادات، ولحم القتلى توغل فيه سكاكين القصابين. ربما مات كل الشعراء الذين كتبوا تل الزعتر، والأطفال الذين رسموه صاروا شيوخًا، والقتلة صاروا أجدادًا ينعمون بالتقاعد مع أحفادهم الصغار يروون لهم قصصًا قبل النوم، لكنْ ثمة أشباح تزور تلك التلة القريبة لسوق الأحد في بيروت، عندما يسقط قرص الشمس في البحر، ترسم تلاً وشاعراً، ينبت من قلب اللون زعتر ومقاتلون

المخيم القتيل في قصائد الشعراء

هل من كلام فوق الجثث والدم؟

هيفاء تنتظر الباص على مفرق تل الزعتر

(موسى شعيب)

كانت هيفا تنتظر الباص على مفرق
تل الزعتر
يخفق صدر هواها بالأحلام
ويمتدّ هواها
من كحلة عينيها
حتى أول جرح في عينيّ يافا...
كانت هيفا تنتظر الباص. ولا تعلم
أن الدرب الفاصل بينهما
أطول من عمر هواها...
كانت بيروت على الشرفات مواعيدا
وهوى مكتظاً بالورد
هوى يتهيّأ للرحلة خلف الورد
وينثر للصيف ضفائره
كانت هيفا تنتظر الباص
وتحلم بالصيف
وتضحك...
لمّا اشتعلت كلّ الشرفات
هيفا تسقط من شرفات الورد
وهيفا تطلع من ورد الشرفات
هيفا تضحك
هيفا تبكي.
تضحك... تبكي...
تضحك...
يشتعل الورد
وتشتعل الشرفات
وهيفا
تنتظر الباص على مفرق تلّ الزعتر.
تروح السنونو...
تجيء السنونو...
وقلبي شبّاك هم عتيق.
إلى أين تعبر يا غيم؟
والريح باب على الموت،
عينا حبيبي سراجان في الليل...
في الصيف ينطفئ الليل،
تغدو الحكايا بلا أجنحة...
وفي الصيف يمتدّ حتى الضلوع
الصباحُ.
وتمتدّ حتى الدموع الجراحُ...
ولا يلد الظلّ غير النعاس، ولا يشتعل
سوى حزن هيفا.
ولا يرتحل
سوى قلب هيفا.
وتغدو الحكايا بلا أجنحةٍ...
وفي الصيف تنكر أعشاشها الطير
تبكي الحقول مواعيدها
يصير التراب بلا رائحة.
إلى أين تعبر يا غيم؟
يافا ارتحال السواقي إلى البحر، يافا
الحكايات،
يافا دموع الحكايات،
يافا الليالي المليئات بالهمس
والأضرحةْ...
إلى أين تعبر يا غيم؟
كل السواقي إلى البحر ترتدّ والبحر
يحضن يافا...
أناديكِ ملءَ الدروب التي انحلّ
جسمي عليها تراباً.
أناديكِ ملء الحقول التي أنبتت لون
وجهي.
أردّ لي
من زمان الحكايات،
من وحشة الخوف والذكرياتْ.
أعيدك وجهاً بلون الطفولة
والأغنياتْ.
أُلملمُ من بين أنقاض وجهي، وكلّ
الوجوه التي غرّبتني.
وكل الدروب التي بعثرتني...
أعيدك لي.
أعانق خصرك، أجدل شعرك،
ألقي زماني على صدرك الشتويّ،

أقول: ابتدئ يا زماني...
أعيدك لي:
صيفي القمريّ، وأسطورتي،
ودمعةَ عشقٍ تسافر فيك وتكبر حتى
حدود الفجيعةْ...
وأنا انتظرتك في ارتحالي،
فارتحلت وأنت تنتظرين...
كان الصيف يعبر خلف أدمعنا،
وتقترب الأصابع من حدود النار...
كلّ حواجز التفتيش كانت في
انتظارك وانتظاري...
كان الزمان يدورُ
والسنوات تهرب من أصابعنا وكنّا
في المكان ندور.
أسرى للزمان وللمكان...

[...]

درب يافا لوليّ
مثل أحزانك يا هيفا.
وللزعتر طعم النار
للماء شهيق الدم
والحلم هو الطاعون.
هذا زمن القتل على الحلم...
وهذا مهر يافا.

(من مجموعة «هيفا تنتظر الباص على مفرق تل الزعتر»، دار الطليعة، 1977).

قطع كفي... ارسلها لك يا «تل الزعتر» برقية

(معين بسيسو)

يا جرحًا يتسع ويصبح،
هذا الوطن الأكبر
غنيت طويلًا للدالية على جبل الكرمل
وكتبت كثيراً للزيتونة في جبل
القسطل
وحملتك يا غزة
من سجن الواحات، إلى سجن المزة
كان العنق بذوب كشمعة
والأطفال وراء المتراس بتل الزعتر
في جسر الباشا والنبعة
يخترعون الشمس
والمعتقلون بخلده..
يخترعون لطفل في تل الزعتر، وردة.

■■■

كانت كف الوطن على الحائط ملصق
كان الوطن قميصي،
فوق شراييني،
كان الوطن معلق...
ألبسه، يلبسني
أكتبه، يكتبني
أقترب فيقتلني
يقطع كفي الوطن ويرسله للعالم
برقية...
ويعلقني فوق الحائط ملصق
فوق شراييني كان الوطن معلّق
والآن...
وذراعك ماسورة مدفع
والنجمة تحلم أن تصبح
فوق ذراعك شامة
الآن لكل حمامة
طارت من صدرك يا «تل الزعتر»
الآن لكل فراشة
قاتلت الفولاذ على جسر الباشا..
الآن لتلك الشمعة
صارت إصبع بارود في النبعة
أنا أقطع كفي
أرسلها لك يا «تل الزعتر»
برقية.

(المصدر: مجلة الآداب، المجلد الرابع والعشرون، عدد صيف 1976).

الساعة الاخيرة

(سعدي يوسف)

تل الزعتر
تحشرج طفلة في المخبأ - الخيمة
وتأكل ثديها...
وتقاسم الأمة.

تلفزيون
يتحدث عن تل الزعتر
ويغني للفتيات الشبقات
وللغلمان بحانات النهر.

مجند
لم يؤسر في حرب طبقية
أو حرب أخرى
لكن جُزَّت ناصيته.

دولة
مذ سمعت آخر صوت في تل الزعتر
دخلت في مصرفها
دخلت... لكن لم تخرج حتى الآن.

المدينة
يسقط تل الزعتر
في جرعات العرق الثلجي
وينهض تل الزعتر
في الشبق الباحث عن شقة عاهرة
في آخرة الليل.

أشخاص
بدلاً من رايات الثورة
رفعوا رايات ذكورتهم.

رقيم بابلي
تحت الأسوار ولدنا
وعلى الأسوار نموت
لم نعرف في بابل
غير القتل لأجل القوت.

الأسئلة
للقادم من تل الزعتر منخوبًا
بالرئات
للمتلثم في الليل العربي... ضماد
الأموات
للقادم من نهر البارد
والقادم من أيلول العام السادس
والسبعين
للمتقدم قائمة القتلى
للناشر ألبسة الأطفال المذبوحين
للباحث عن عذراء فلسطين
للصوت الصارخ في البرية
للمُطعم غدارته لحم ذراعيه:
نقدم هذا الحمأ المسنون
نقدم بلدانًا عارية إلا من بدلات
جاهزة
ونشيدًا للمنتصرين على أطفال الله
وناعورًا من دم هذا الشعب
وقنبلة للأسماك
ورايات تتغير كل ثلاث سنين...
عمّ يسائلنا هذا الصوت الصارخ في
البرية؟
عمّ يسائلنا القادم من تل الزعتر؟
والقادم من نهر البارد؟
والقادم من أيلول؟
عمّ يسائلنا الصوت الباحث عن
عذراء فلسطين؟
أو لم نعرف بعضًا؟
أو لم نولم لطيور الأردن لحوم
«الوحدات»
وأطفال الزرقاء؟
أو لم نأكل فوق جسوم القتلى خبزهم
مرشوشًا
بالماء؟
أو لم نجلس في قاعة مشرحة حول
فلسطين؟
أو ما مزقنا جثتها. مزقًا؟
نسلمها:
واحدة، واحدة، واحدة، واحدة
واحدة، واحدة، واحدة، واحدة،
واحدة
واحدة، واحدة، واحدة، واحدة،
واحدة
واحدة، واحدة، واحدة، واحدة،
واحدة؟
أو لم نعرف بعضًا؟ حسنًا...
وإذن...
عم يسائلنا هذا الصوت الصارخ في
البرية؟
عم يسائلنا القادم من تل الزعتر؟
عم يسائلنا الصوت الباحث عن
عذراء فلسطين؟
هاجس
لكأنني ألقى الحقيقة في يدي...
بسيطة كالعشب
أمتنا تشيخ. وبين مكاتب الحكام
والعقداء
تفقد آخر أرضها: القبر المهيأ. أمة
بعثت
ولكن منذ آلاف السنين. وما الذي
يأتي؟
الشرارة قد تجيء، وليس بعد الموت
من موت.
وآخر أرضنا:
القبر المهيأ كان عند التل... والحكام
والعقداء
ينتظرون ساعتها الأخيرة.

(المصدر: مجلة الآداب، المجلد الرابع والعشرون، عدد صيف 1976).

تل الزعتر

(أحمد فؤاد نجم)

يا حكاية كل الناس
من قلب الناس للناس
تصحي على لسان الناس
وتبات في ضمير الناس
يا أطهر جرح
وأشرف جرح
وأوجع جرح ف قلب الناس
يا تل الزعتر

(أحمد فؤاد نجم، الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة 2008).

المقتلة بأعين الأطفال

◄ محمد منيف

(12 سنة)

رسمت جامع تل الزعتر. أبوي قتل على باب الجامع. كان قد أصيب في رجله، دخل الكتائب الجامع، فكرهم فدائية، أخرجوه وطخوه عند الباب، قرب العامود. صرخت، وركضت لأخبر أخوي، قال أخوي: «لا نقدر أن نأخذه. سيقتلوننا».

خرجت من المخيم مع أمي. أخي الكبير مقاتل. خرج عن طريق الجبال وقتل في معركة على الطريق. أخي عزت أخذته «الكتائب» في الدكوانة. عرفوا أنه مقاتل. خلعوه بالأخمص، جرح في رجله، ثم جروه بالسيارة، عرفوا أنه مقاتل...

أنا وأمي نحزن كثيراً على إخوتي، أكثر من حزننا على أبوي... إخوتي شباب... وبكى.

◄ حسن شحاده

(12 سنة)

كنت أساعد الفدائية، آخذ لهم ذخيرة وتموين. خرجت وحدي عن طريق الكنيسة أضعت أهلي.. مشيت مع الناس. الكتائب كانوا يوقفوا الرجال عند الحائط، ويقتلونهم واحد قطعوا رأسه بالبلطة أمامي. كان مقاتل في الديمقراطية. سألوني: وين الفدائية، أشرت لهم قاتلاً: بهذاك البيت، كذبت عليهم، ذهبوا هناك، هربت.. كانت القتلى ممدودة على الأرض في كل مكان.

◄ محمد حمادة

(12 سنة)

ذهبت مع أمي وخالتي لنعبي ماء. صرنا ندعس على القتلى. وقعت قذيفة بنص الناس على المي، 2 نسوان ماتوا، وانجرح 12... خالي علي سعود استشهد.. ذهب لوضع ألغام في المنصورية ولم يرجع. رسمت الجامع. الكتائب دخلوا الجامع وقتلوا كل الناس اللي كانوا فيه.. خرجت مع الناس على الدكوانة. وضعونا في ساحة طويلة، الأحرار صاروا يقولوا لنا: سُبوا أبو عمار، سلطوا علينا الدوشكا بدهم يطخونا، واحد جاء وصرخ: «لا تصيبوهم. هؤلاء سيذهبون مع الصليب الأحمر». في الدكوانة كان القتلى مصفوفين على الطرقات. نساء ورجال. أخذوا جدي أسيراً، عمره 50 سنة.

شهادات الأطفال ورسوماتهم مأخوذة من كتاب هاني مندس «طريق تل الزعتر». تنسيق الرسوم والنصوص: الفنانة الراحلة منى السعودي.

نصف قرن على المجزرة

أيها النسيان إنك تليق بكل الأسماء ولكنك لن تكون تل الزعتر

محمود درويش

يفلت منا تل الزعتر. وهذه اللغة للتفاصيل. كيف نحمي النص من الانفجار، وأسئلة أخرى. ويتكرر سوء التفاهم الذي لا ينتهي بين البطولة وعناصرها. البطل هو آخر من يعرف أنه بطل. وتل الزعتر لا يعرف تل الزعتر. ولا نعرف، في هذا الخضم، كيف نسمي. سنجتهد كالمعتاد، وأسئلة أخرى. ولكن الذي أتيح له أن يحدث الحدث لا يستطيع أن يشهد حدود دمه.

والذين ساروا في الحنين إلى ما هو آخر لن يروا في صفوف الكلمات المنهالة عليهم إلا مجموعات غريبة من الحشرات. بعضهم ذهب إلى الصمت الأخير، وبعضهم يذهب إلى الحياة بشروط محكمة. ويفلت منا تل الزعتر. وليس كل من جاء من هناك كان هناك. وسنقول الآن: تل الزعتر تراكمات بساطة، وثقافة علاقة بالمعجزة في أشد مقوماتها إلفة. تل الزعتر معجزة الماء. اختيار الذين يختارون والذين لا يختارون. استدراج البشر إلى سر التاريخ، وترويض الدهشة، فيصير كل شيء عظيم في متناول اليد. تل الزعتر شمول لا يكبر حبة العدس، وقارة من الفوارق بين الانفجار والانتحار. تل الزعتر أسماء كثيرة لا اسم لها. حالة ترهق حاملها وقاتلها. من يضبط هذه الصيغة بعد الآن، وأسئلة أخرى. وهو لذلك يفلت منا ومن ذاته. تل الزعتر أكبر من تل الزعتر.

وسنقول كلامًا كثيرًا. سيقال كل شيء ولا شيء. وستمر الأيام الأخرى على هذه المدينة

- بيروت - التي لا يقيم فيها إلا الذين ماتوا والذين سيموتون بشظية طائشة أو باقتحام، ويعقبهم فرح. ومع ذلك، يظل حزنها من الخارج أكبر. لا أدري إلى أين تقودني هذه الملاحظة، ولكنني ركبت كيس طحين ومشيت على الماء الليلي من قبرص إلى صيدا، لأقترب من انفجارات اللحظة التي حبلت بها مئات السنين من تاريخ أمة. على سطح السفينة شباب غادروا الكتب والسفر في طريقهم إلى بيروت ليدافعوا عن الحلم. إن الذين يحلمون يشبهون بعضهم البعض ولهم وطن واحد، وفي بيروت أيام مشابهة: بالأمس تركيب المولدات والمحركات الكهربائية وإقامة الخطوط الحديدية في الصحراء/ بالأمس المحاضرة العلمية عن أصل الإنسان/ أما اليوم فالصراع/ بالأمس الإيمان بالقيمة المطلقة، للإغريقية / وانسدال الستار على موت البطل / بالأمس الصلاة للشمس في الغروب. أما اليوم فالصراع/ غدًا إعادة كشف الحب الرومانسي/ وتصوير الغربان وكل البهجة / في ظل «الحرية» السائد/ غدًا ساعة قائد العرض ولاعب الموسيقى/ غداً للفتية الشعراء يتفجرون كالقنابل/ والتمشي على حافة البحيرة/ غدًا سباق الدراجات/ أما اليوم فالصراع. (اودن).

اليوم تل الزعتر. وتل الزعتر يستجمع بؤسه ويقف على قمة تفاصيله التي يخفيها، فيحفظ الذين يعرفون والذين لا يعرفون والذين لا يريدون أن يعرفوا. اليوم يسمّون شرق المتوسط تل الزعتر. في نيويورك ولندن وباريس وروما: سقط. لم يسقط. سيسقط. لن يسقط. اجتهادات صحافة، وأعداء، وأحلام جيل آخر... لم يعد ذلك مهمًا. العالم كله تحول إلى انعكاس لوهج الزعتر. تل الزعتر يفلت من الاحتمالات. ينزلق من الصواب والخطأ. إنه يحول الكرة الأرضية إلى مخيم. تل الزعتر يستولي على الوقت.

لا رحمة. لا رحمة. قال لي صديق مشغول بملاحظة الظلم الأوروبي: تعبت منهم هؤلاء الذين لا يكفون عن سؤالي كيف تهجي اسمك. وتفاخر: هؤلاء لا يسألونك كيف تهجي تل الزعتر!

اخرس! فليس ذلك دليلًا على علاقة المتناقضات التي تحمل، فليس لأحد شأن في الألم الذي يصيب إنسانًا تشدّ ساقه اليمنى سيارة في اتجاه، وتشد ساقه اليسرى في اتجاه آخر. لا. ذلك عادي...

عادي لأنه من تل الزعتر. لا. لا. هل فكرت هذه الضحية بأن ما يرفعها إلى هذا الوجع يرفعها إلى الشهرة؟ هل تعيدها إلى الحياة أو إلى فلسطين شفقة جنتلمان إنجليزي؟ أيها العالم! إني أرفضك. وماذا تستطيعون أن تقدموا لنا! سؤال يواجهه فلسطيني على شاطئ الباسفيك من غاضب على القهر الاجتماعي. وأنت تجيب وتحاول أن تلم في صدرك أشلاء طفلة من تل الزعتر. وفي مجلس الأمن يرفع المندوب الأميركي يده ليقول في أدب: لا - لحق الفلسطينيين في عودة أو وطن...

كل السفن بطيئة. ولكن هذه السفينة السائرة على الماء الليلي من قبرص لا تجد صيدا. ولا ترى إلّا أضواء القراصنة القادمين من ميناء حيفا. يحتلون البحر أيضًا. حوالي مئة طالب غادروا سنواتهم الجامعية الأخيرة لينتموا إلى الحلم. منذ فترة طويلة لم نسمع هذه الأغاني. والسفينة لا تصل. يدفعونها بالهتاف والأناشيد. ولم يتدربوا على حمل السلاح. وعلى طريق تل الزعتر تقف المرأة إياها ذات السواد تختار أجمل الأطفال وتُذبح. تُذبح وتنتشي. تنتشي وتعود إلى البيت لتنام.

وعلى طريق آخر يقف العملاق العاجز ويختار العذراء. يضاجعها بسكين المطبخ الكبيرة، في هدوء في هدوء في هدوء. المشاهدون لا يتحركون. الصليب الأحمر. التضامن العربي. الله. الوطن. العائلة. النساء الأنيقات. ثم يمسح السكين بالبنطلون الأبيض. يزدان بعلامات فحولة السكين. العذراء ترشح دمًا. العملاق العاجز يرتاح.

كل السفن بطيئة. ولكن هذه السفينة أبطأ. كانوا مئة. سيعود منهم عشرون. تل الزعتر. أسماء كثيرة لا اسم لها. لا أحد يحب كالآخر. لا أحد يموت كالآخر. ثلاثة آلاف قتيل ليسوا رقمًا. سيرة البشرية تقتحم طريقة الفهم الشائعة. تنقض على التاريخ: إنك تكذب. لا يسمعهم التاريخ. يعطيهم رقمًا ولا يجمع الأشلاء. لا يرى كيف التقطوا دماءهم، قطرة قطرة، من بين عشرات السنين ومساحات الرمل. يضعهم في جملة واحدة: ثلاثة آلاف قتيل ماتوا في معركة. ولكن... لا أحد يموت كالآخر. والكتابة، كالتاريخ، تكذب. نحن هنا نرتكب أكثر من مخالفة. نروي عنهم ونخفي بعض ما قالوا وما يقولون لننقذ اللحظة السياسية العابرة من الحرج. لا وصية لهم ولا قبر. رسونا على دمهم وكان الأرض. وفي أوج الكتابة كانوا يموتون بدلًا منّا. كانوا هم الذين يكتبون. وظلت الكتابة تكذب. وفي ساعات الدم الكبرى... في ساعاتهم نتساءل عن جدوى الكتابة، ونمضي في السؤال لنسأل عن جدوى الحياة ذاتها. نعم، سنشك في كل شيء، سنشك في الحياة من فرط ما ماتوا. وسنسأل إلى متى نرسم المواعيد ونسقط؟ وسيعيدون أسئلتنا إلى التوازن. سيعيدون إلينا الحياة ذاتها. سنؤمن ونتابعهم. هؤلاء الذين لا جدران تكفي لصورهم، ولا اسم لأسمائهم ولا يكفي لتقليد دمهم. إنهم مرميون على الأرصفة والساحات والبذور. مرميون على الشمس وفي الظلال، مرميون في الحنان والظهيرة، مرميون في الذاكرة والنسيان. وما علينا إلّا أن نشهر الأقلام ونغمسها في الإيقاع الدموي الجاهز وفي الصور المجانية، فيصير الكذّاب فينا مخلصًا والركيك متينًا ويزدهر الأدب الفلسطيني على دماء تل الزعتر. وتنهال باقات الورد ويمنع النقد، لأننا نكتب عن تل الزعتر. إن بطولتهم شيء، والكلام عن هذه البطولة شيء آخر. فلينصرف الذين يقيمون من أشلائهم متاريس إلى هواياتهم الحقيقية. وليتحدث تل الزعتر عن تل الزعتر. لهم وحدهم حق الكلام. هذا الكلام لهم. وسنجد في كلامهم كتابة تنفي الكتابة. لنتعلم أبجدية الصدق والفن من هذه البساطة. إن لغتهم هي التي تغيّر. أشعر وأنا خارج من هذا النص أنني قادم لتوي إلى الحياة. أيّ كاتب يستطيع العودة إلى تقاليده بعد قراءة هذا النص الدمويّ، ولا يكون كاذبًا أو قاتلًا. سأتوقف عن الكتابة. سأتوقف عن الكتابة إلى أن يهدأ دمي وأجد كتابة أخرى.

إن تل الزعتر أخطر حادث بطولة في تاريخ العرب. وأسأل نفسي كثيرًا: هل يكون الوطن وحشيًا إلى هذا الحد؟ نعم، وقبيح أيضًا ومقدس حين يكون رئة الحياة، لم يقتل وطن أبناءه كما يفعل الوطن الفلسطيني، ولم يبدع شغيلة وطنًا كهذا الحلم الذي يغيّر عصرًا، وحين يكون الحصار هو الحصار الأخير وحين يكون الخندق هو الخندق الأخير تصبح مساحة الصفيح الصغيرة هي الكون، ويكون سقوط هذه البقعة سقوط الكرة الأرضية في فراغ لا ينتهي. من علّمهم ذلك؟ القيد والثورة. ومن أيضًا؟ وجدوا أنفسهم يموتون فماتوا، أكثر حرية من الحرية ذاتها حين انصهروا في الموت وهم يعرفون أن موتهم ليس شعرًا كما لم تكن الحياة شعرًا. لا جمال لهذا الموت... لا جمال لا جمال إلا هم. كانوا يدافعون عن كوب الماء وعن قابلية الجرح للشفاء، ولا يهمنا أن نعرف إن كانوا يعرفون أنهم كانوا يدافعون عن القارة العربية المهددة بالتخلي عن أحلامها. لا شروط للبطولة إلا شروطها ذاتها حين ترمينا الحياة إلى لحظة لا نستطيع فيها إلا أن نبدع البطولة دون أن ندري.

كانوا يحولون الملايين المنتشرة على أرض خائفة إلى قبضة يد تتحفز لتغيير مسار المرحلة. كانوا يعطون للفعل الفلسطيني معناه العلني المتكامل الممتد إلى كل الحدود وميزان المدفوعات والنفط والطبقات والشعر والأمية والكبت الجنسي والخيانة. كانوا يفضحون السر الفلسطيني ويزيلون عن البيان الفلسطيني غشاء المجاملة. وكانوا يقولون للأمة إنها ليست هي المهزومة، وإن كل موقع فيها يحمل شروط تل الزعتر. ولذلك، قاتلوا حتى جرعة الماء الأخيرة وبرزت وجوه أعدائهم الكثيرة.

خرجوا من اللحظة الرائجة إلى زمن آخر. وأخرجوا الوطن الفلسطيني من حواجز البحر الأبيض والبحر الأحمر والبحر الميت ونهر الأردن والصحراء.

وحين خرجوا إلينا من بوابات جراحهم الواسعة لم ندخل معهم في عناق متكافئ كان المستقبل مرميًا على الطرقات. وكنا نغطي وجوهنا بأفراح سرية. كان السكون يغطي المدينة، وكانت السفينة البطيئة تفرغ أكياس الطحين وتحمل الجرحى وبقايا الطلبة والأعراس... ندخل مرة أخرى في وعي البدايات. سنواصل الرحلة ونصدق أحلامنا. تل الزعتر. سقط. لم يسقط. لن يسقط. كانت قوافل الجراح تصب في المدينة الرياضية وتصفيقنا، وتلوّن فلسطين والمدن العربية الخائفة. وكانت ظواهر الأشياء تعود إلى سياقها الطبيعي: فصل آخر ينتهي وتنزل البطولة إلى تفاصيل أخرى. لا، لن يسدل الستار على نهاية بطل، لأنه يزرع الأرض الآن بدايات، وأسئلة أخرى. يرحل تل الزعتر عن الأرض ليدخل المحيط الكبير في دورة التدريب. ويعرف الثائر أنه لن يستطيع أن يكون إلا ثائرًا. ولأن فلسطين ليست زانية، ولأنها لا تقيم في حجرة، فلن تكون حبيبة الجميع. إنها صراع الجميع. ويصير اسم صغير مثل تل الزعتر مفترق طرق لكل الجهات. ومن طريق تل الزعتر من طريق الثورة نصل إلى فلسطين وأخواتها. والطريق الآخر يؤدي إلى طريق آخر... إلى سيطرة الكاز على الدم. أيها النسيان! إنك تليق بكل الأسماء، ولكنك لن تكون... تل الزعتر!

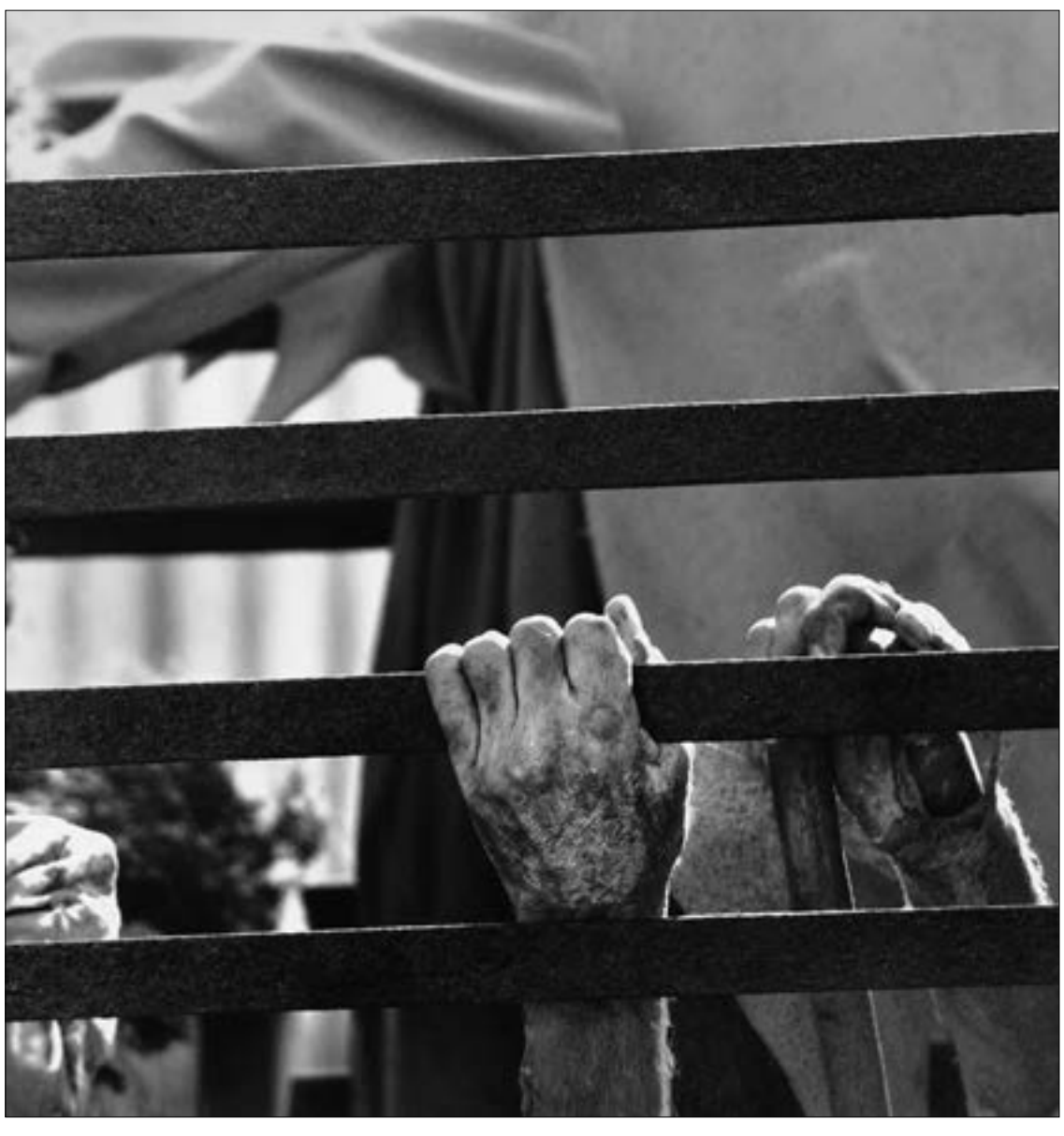

من مقدمة كتاب «طريق تل الزعتر ». هاني مندس. «مؤسسة الأبحاث الفلسطينية». 1977 ـ الصورة المرافقة من الكتاب أيضاً.